

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر * بسكرة *

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قطب شتمة -

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ



عنوان المذكرة:

**فرحات حشاد ودوره في الحركة النقابية التونسية
(1946 – 1956) م**

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إشراف الأستاذ:

مسعود كربوع

إعداد الطالب(ة):

إيمان بوشريط

السنة الجامعية: 2015 – 2016 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان:

الحمد و الشكر لله عز وجل الذي وفقني في إنجاز هذا العمل

الموسوم

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ

المشرف « كربوع مسعود » الذي أوسعني برحابة صدره، وتوجيهاته

المنهجية العلمية السديدة، ولم يكن هذا العمل ليرى النور

لولا تلك النصائح القيمة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لأساتذة قسم تاريخ بجامعة

محمد خيضر - بسكرة - وعلى رأسهم الأستاذ بوطارفة الصادق والأستاذ

مصمودي نصر الدين اللذان لم يبخلا علي بتقديم المساعدة

وكل الشكر والامتنان للأستاذ الأسعد بن رحومة من تونس الحبيبة الذي

لم يبخل علي بنصائحه القيمة وتشجيعه ومساعدته في الحصول على

أهم المراجع لإعداد هذا الموضوع.

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد لكل هؤلاء أقول لهم

شكرا جزيلا وكل الشكر.

قائمة المختصرات

ج	الجزء
ع	عدد
ص	الصفحة
د، ن	دون دار نشر
د، ب	دون بلد نشر
د، س	دون سنة نشر
د، ع	دون عدد
إش	إشراف
تر	ترجمة
تع	تعريب
تق	تقديم

مقدمة

تعد الفترة المعاصرة من أهم الفترات المليئة بالأحداث الصعبة، حيث شهد من خلالها العالم العربي موجة استعمارية واسعة النطاق، قامت بها الدول الغربية، بهدف استغلال أراضي وممتلكات الدول العربية وتسخيرها لخدمة مصالحها، ولتحقيق هذه المصلحة أخذت هذه الدول تتفنن في أساليبها القمعية الجائرة وتتبع سياسات متنوعة سواء في الجانب الإداري أو الاقتصادي أو الاجتماعي وحتى الثقافي الذي أرادت من خلاله أن تزرع كيان هذه الدول من جذورها، وتحولها إلى شعوب بلا هوية وتقضي على الدين الإسلامي، وهذا كله لتصل إلى هدف واحد وهو إخضاع شعوب مستعمراتها وجعلها تابعة لها.

كمثال عن هذه الدول الاستعمارية، نجد فرنسا التي استطاعت من خلال أساليبها الاستبدادية والقمعية أن تخضع العديد من الدول العربية ومنها دول المغرب العربي، حيث تمكنت من احتلال الجزائر في سنة 1830 وجعلها مستعمرة تابعة لها إداريا وسياسيا وعسكريا، وبعدها انتقلت إلى الدول المجاورة كالمغرب الأقصى وتونس، هذه الأخيرة التي أعلنت حمايتها عليها بعد إرغامها بالقبول والتوقيع على معاهدة باردو في 12 ماي 1881، والتي ترسخ من خلال بنودها التواجد الاستعماري المباشر لتونس تحت غطاء الحماية، كما أن هذه المعاهدة جاءت فقط لتخدم مصالح فرنسا بالدرجة الأولى عكس الذريعة التي وضعتها فرنسا، والتي تتطوي تحت تحسين أوضاع التونسيين ومساعدتهم وبأنها ستغادر البلاد فور تحقيق الاستقرار الداخلي في تونس، ولتحكم فرنسا قبضتها أكثر على تونس أجبرتها على توقيع معاهدة ثانية تسمى بمعاهدة المرسى سنة 1883، واستكملت من خلالها السيطرة على كامل التراب التونسي، على الرغم مقاومة التونسيين، وبدأت في تطبيق سياساتها القمعية وتفنن في استخدام وسائلها العسكرية ضد الشعب التونسي، الذي لم يتحمل بدوره الوضع المزري والمذل الذي بات فيه من جراء هذه السياسة الاستبدادية والاستغلالية.

وكردة فعل قام بها التونسيين ضد ما تسلط عليهم من ظلم واستغلال، بدأت المقاومات الشعبية في معظم المناطق التونسية بالتصدي لهذه السياسة ومحاربتها بمختلف الوسائل والأساليب، وذلك بهدف

تغيير الأوضاع التي أجبروا على خوض غماها، ونتيجة لتفوق السلطات الفرنسية من ناحية السلاح والخبرة العسكرية، كان مآل هذه الثورات والمقاومات الشعبية الفشل.

أخذت المقاومة التونسية منحى آخر في مواجهتها للاستعمار، سواء من ناحية الأسلوب أو من ناحية المبادئ، حيث انتقلت من المقاومة الشعبية إلى المقاومة السياسية، وذلك من خلال إنشاء أحزاب وتكتلات سياسية، انضم إليها كل من يؤمن بالعمل السياسي ويرجوا من خلاله تحقيق الاستقلال وطرده الاستعمار، وما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها (1914-1918)، وبعدما تأكد التونسيون أن فرنسا لن تطبق ما جاء في المعاهدة التي دخلت على إثرها الأراضي التونسية بدؤوا بتشكيل الأحزاب السياسية التي تطالب بالاستقلال التام، فكان أبرزها الحزب الدستوري التونسي القديم الذي تأسس على يد عبد العزيز الثعالبي، والحزب الحر الدستوري الجديد الذي قام على يد الحبيب بورقيبة، وبعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، هؤلاء كلهم حملوا مشعل المقاومة السياسية ضد الاستعمار الفرنسي بغية إيصال صوت تونس للعالم، وأن هناك شعب يسعى جاهدا لاستعادة الحرية التي سلبت منه بالقوة.

انضم العمل النقابي إلى الجهد الوطني لمقاومة المحتل وذلك منذ بدايات (1924)، كشريك ملازم لهذه الأحزاب في مقاومة الاستعمار، حيث يعد البحث في العمل النقابي التونسي، هو بحث عن حقيقة هذا التيار الاجتماعي والاقتصادي الذي أدى دورا فاعلا في كشف الواقع التونسي في المجالات المختلفة، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وحتى النقابية، ذلك أن بحث العمال عن حقوقهم المهنية والنقابية قاد إلى طرح قضية الواقع الاقتصادي الوطني، وما يترتب عليه من أبعاد سياسية واجتماعية وعليه فقد شكلت الحركة النقابية التونسية والتي يمثلها الاتحاد العام التونسي للشغل الذي تأسس على يد فرحات حشاد سنة 1946، تيارا اجتماعيا ذا أبعاد وطنية سياسية واقتصادية واجتماعية.

برز من خلال هذه الحركة النقابية شخصية فرحات حشاد، التي أصبحت تمثل رمز النضال والمقاومة والصمود عند التونسيين، وفرحات حشاد شخصية تربت وتشبعت بقيم وأخلاق الإسلام، التي تحت على الاحترام والتواضع وأهم قيمة هي الجهاد والنضال ضد المستعمر واسترجاع السيادة

المسلوبة، فأمن حشاد بضرورة المقاومة والتصدي للاستعمار، بعدما مر بالعديد من التجارب كانت بداياتها منذ انخراطه في الكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية سنة 1936، ليبدأ حشاد الشاب الذي كان كل طموحه هو الحصول على عمل يوفر من خلاله لقمة العيش، إلى أن يصبح زعيم الحركة النقابية والوطنية التونسية، ويكون له دور فاعل وكبير في النضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال التونسي، ويكون له دور بارز في النضال الإقليمي المغاربي والعربي والعالمي، الذي كسب من خلاله حب الجماهير الشعبية من مختلف بلاد العالم.

وهذا هو محور موضوعنا الذي سنحاول من خلاله إبراز دور فرحات حشاد في الحركة النقابية التونسية ومواجهته للسياسة الاستعمارية الفرنسية، وكذلك إبراز دوره من خلال النهوض بالعمل النقابي التونسي، وتحديد أهدافه نحو الاستقلال التام والوصول به إلى مصاف العالمية.

- أهداف الدراسة:

عندما اخترت هذا الموضوع لدراسته كانت هناك العديد من الأهداف التي دفعتني لاقتراحه ليكون موضوع رسالة التخرج، أول هذه الأهداف هو التعرف أكثر على شخصية فرحات حشاد باعتباره شخصية لها وزنها ومكانتها وتاريخها عند التونسيين، كما يعتبر رمز من رموز المقاومة والنضال ضد الاستعمار، ومن الأهداف أيضا هي محاولة إبراز الدور الذي قام به والسياسة التي اتبعها أثناء قيادته العمل النقابي، والتنظيمات المحكمة التي سير من خلالها الحركة النقابية التونسية، وأوصلها لتكون عضوه في النقابات العالمية وتشارك في أهم مؤتمراتها وقراراتها، زيادة على ذلك هو محاولة إبراز التميز الذي أضفاه فرحات حشاد على العمل النقابي طيلة فترة مساره النضالي، وكيف انتقل بالحركة النقابية التي كانت حركة اجتماعية اقتصادية إلى حركة تمارس السياسة وتعتبرها أساس الحصول على الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

- أسباب اختيار الموضوع:

هناك جملة من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ودراسته، حيث يمكن أن نقسمها إلى أسباب ذاتية وأسباب موضوعية، تمثلت الأسباب الذاتية أولاً في الرغبة الشخصية لدراسة هذا الموضوع، حيث أنه وبعد الإطلاع عليه بصورة عامة أصبح لدي الفضول للتعرف أكثر على خبايا هذا الموضوع، وإلى أي مرحلة وصل في مساره النضالي، أيضاً نظراً لقلّة الدراسات في هذا الجانب وجهل العديد به، كذلك الرغبة الشخصية في التعرف على شخصية لها وزنها ومكانتها عند التونسيين وشعوب العالم عامة مثل شخصية فرحات حشاد.

أما فيما يتعلق بالأسباب الموضوعية، فهي تتمثل في الرغبة في التعرف أكثر عن أهم المحطات التي مر بها العمل النقابي في تونس وأهم انجازاته في فترة محاربته للاستعمار، أيضاً التعرف أكثر وإبراز الدور الذي قام به فرحات حشاد من خلال مساره في العمل النقابي والوطني، بالإضافة لذلك التعرف على المكانة التي وصل إليها العمل النقابي في تونس على عهد فرحات حشاد، وإن كان هناك حدود لعمله النقابي ونشاطه داخل تونس فقط أم تعداه إلى خارج تونس.

- الإشكالية:

لدراسة هذا الموضوع والتعرف أكثر على أهم تفاصيله، نطرح الإشكالية التالية:

- ما مدى مساهمة فرحات حشاد في الحركة النقابية التونسية ؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية :

- كيف كانت بدايات العمل النقابي في تونس ؟

- من هو فرحات حشاد وكيف كان العمل النقابي في عهده ؟

- فيما تمثلت انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس ؟

- المنهج المتبع:

لدراسة هذا الموضوع ومعالجته تم الاعتماد على مجموعة من المناهج التي تسهل علينا دراسة الموضوع وتضعنا دائما ضمن الإطار المنهجي للدراسة، ومن هذه المناهج استخدمنا:

المنهج التاريخي التحليلي: وذلك من خلال رصد التسلسل التاريخي للعمل النقابي التونسي وذكر أهم المحطات التي مر بها، وترتيب الأحداث ترتيبا كرونولوجيا، وتحليل الواقع الذي عاشه فرحات حشاد وأهم الآراء التي قيلت في حقه والخطابات المتعددة التي ألقاها على مسامع شعبه التي تحمل العديد من الأفكار التي أمن بها حشاد والتي تحتاج للشرح والتحليل، وأيضا تحليل المواقف التي اتخذت من سياسة فرحات حشاد في الإتحاد.

المنهج الوصفي: وذلك من خلال وصف كل المراحل التي مر بها فرحات حشاد طيلة حياته، منذ طفولته إلى غاية اضطراره في النشاط النقابي وتولييه زمام التسيير والتنظيم للحركة النقابية وانخراطه بعدها في العمل السياسي والمقاومة.

- خطة الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع والتعرف على كل جوانبه اتبعنا في ذلك خطة دراسة لهذا الموضوع، حاولنا من خلالها الإلمام بكل جوانب الموضوع وترتيبها وفق التسلسل التاريخي والزمني للأحداث، حيث قسمنا العمل إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

- جاء الفصل الأول بعنوان العمل النقابي في تونس من 1924 إلى غاية 1938، تطرقنا من خلاله لذكر أهم العوامل التي دفعت بالعمل النقابي في تونس بالقيام والمشاركة إلى جانب الأحزاب السياسية، كما ذكرنا من خلاله أول تنظيم نقابي تونسي والمتمثل في جامعة عموم عملة تونس الأولى، وتطرقنا في نقطة ثالثة إلى ذكر التنظيم النقابي الثاني الذي حمل نفس اسم التجربة الأولى وهو جامعة عموم عملة تونس الثانية التي كانت بمثابة استمرارية للتجربة الأولى، وأيضا كيف كانت ردة فعل السلطات الاستعمارية تجاهها.

- وفي الفصل الثاني الذي جاء بعنوان فرحات حشاد والاتحاد العام التونسي للشغل، حاولنا من خلاله التعرف على شخصية فرحات حشاد ومراحل حياته وبداياته في العمل النقابي، أما في النقطة الثانية فتطرقنا من خلالها لسياسة فرحات حشاد في الاتحاد وأهم التنظيمات والمبادئ والأهداف التي قام على أساسها الاتحاد العام التونسي للشغل، وأهم النقاط التي تميز من خلالها فرحات حشاد في فترة تسييره للاتحاد العام التونسي للشغل.

- أما فيما يخص الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس، تحدثنا في أول نقطة دور فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل من خلال ذكر الدور الاجتماعي والاقتصادي و دوره السياسي والوطني، ثم ذكرنا في النقطة الثانية نشاطات الاتحاد العام التونسي للشغل، فتطرقنا إلى نشاطه في دول المغرب العربي ونشاطه في دول المشرق العربي ونشاطه العالمي من خلال إتحاد النقابات العالمية الحرة، وكآخر نقطة تطرقنا لها في هذا الفصل هي مواقف من سياسة فرحات حشاد في الاتحاد، فحاولنا التعرف على مواقف الأحزاب السياسية، ومواقف العمال والشعب بصفة عامة، وأخيرا موقف السلطات الفرنسية من سياسة فرحات حشاد والإجراءات التي اتبعتها في هذا الجانب.

وأخيرا الخاتمة التي حاولنا من خلالها استخلاص أهم النقاط التي استنتجت من الموضوع، وذكر حوصلة نهائية عن هذا الموضوع.

- الدراسات السابقة:

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على جملة من الدراسات السابقة التي ساعدت في فهم الموضوع واستيعابه منها:

- كتاب الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956 لسعد توفيق البزاز، الذي ذكر مختلف الجوانب التي تطرقنا إليها في موضوعنا ، حيث ساعدنا في معرفة الإطار الزمني للدراسة وتحديد بدقه، وأيضا في ضبط الخطة وفق التسلسل

التاريخي والزمني للأحداث، وأيضا ساعدنا في التعرف على أهم المراجع التي درست الموضوع وعالجته.

- أيضا كتاب الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة من 1830 إلى 1956، لمؤلفه الطاهر عبد الله، الذي تطرق من خلال جزئية كاملة فيه إلى تاريخ العمل النقابي في تونس منذ نشأته وبدايته الأولى إلى غاية الاستقلال، حيث استفدنا منه في التعرف أكثر على النشاط النقابي في مرحلته الأولى منذ 1924 أي قبل ظهور فرحات حشاد وبدايته في العمل النقابي، وأيضا التطرق إلى أهم النقاط في المسار النقابي التي ليست مذكورة في الدراسات الأخرى حول هذا الموضوع.

- كتاب تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال لمجموعة من المؤلفين، حيث تطرق من خلاله عبد السلام بن حميدة للكتابة حول العمل النقابي في جزئية كاملة، ركز من خلالها على دور فرحات حشاد ونشاطه من خلال الإتحاد العام التونسي للشغل، وأيضا موقف السلطات الفرنسية منه ، وقد ساعدنا في التعرف على هذا الجانب أكثر، كما ساعدنا في ترتيب الأحداث التاريخية وتنظيمها وفق تسلسلها الزمني الكرونولوجي.

- بالإضافة لكتاب فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية لمؤلفه عبد الهادي عبد المجيد، حيث تطرق هذا الكتاب إلى مسيرة فرحات حشاد من البداية إلى غاية الاغتيال وأهم النشاطات التي قام بها والاجتماعات التي أجراها والمواقف التي تميز بها، وقد ساعدنا أكثر في التعرف على مواقف الأحزاب السياسية والشخصيات المهمة من سياسة فرحات حشاد التي اتبعتها في الاتحاد العام التونسي للشغل وقاوم من خلالها الاستعمار الفرنسي.

- الصعوبات:

على الرغم من إكمال انجاز مشروع الدراسة العلمية لهذا الموضوع ، إلا أنه لا يوجد موضوع خالي من العراقيل والصعوبات، ومن بينها قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع والتي تدرس

الحركة النقابية التونسية بشكل منفصل، وأيضا الصعوبة في ضبط العنوان المناسب وتحديد الفترة المناسبة التي توطر الموضوع وتشمله من جميع النواحي.

- المصادر والمراجع:

اعتمدنا في إنجاز هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع التي عالجت الموضوع سواء منها بشكل مفصل أو في جزئية معينة، ومن هذه المراجع هناك:

نجد كتاب بالهادي عبد المجيد بعنوان فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية، وكتاب سعد توفيق البزاز بعنوان الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924 - 1956، وأيضا كتاب حمة الهمامي بعنوان قراءة في تاريخ الحركة النقابية، وكتاب السرجاني راغب قصة تونس من البداية إلى غاية ثورة 2011، بالإضافة لكتاب محمد الهادي الشريف بعنوان تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، أيضا كتاب الطاهر عبد الله الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، وكتاب أحمد القصاب تاريخ تونس المعاصر 1881 - 1956، زيادة على ذلك كتاب عبد الواحد المكني بعنوان فرحات حشاد المؤسس الشاهد القائد البطل.

الفصل الأول:

العمل النقابي في تونس

(1924 - 1938)

المبحث الأول: عوامل ظهور العمل النقابي في تونس.

المبحث الثاني: جامعة عموم عملة تونس الأولى والثانية (1924 - 1938)

شكلت النقابات المهنية والعمالية إحدى الركائز الهامة للنضال الوطني والديمقراطي في التاريخ الحديث والمعاصر⁽¹⁾. لكونها الإطار الوحيد والمنظم الذي يعمل لصالح الطبقة العاملة التي تسعى لتحسين ظروفها الاجتماعية، لهذا وقبل الحديث عن بدايات العمل النقابي في تونس، وأهم المحطات والمراحل التي مر بها، لا بد من التطرق أولاً إلى مفهوم العمل النقابي بصفة عامة والتعرف على تاريخ ظهوره وما هو الهدف من إنشاء حركات عمالية؟. بالإضافة لذلك يجب توضيح الفرق بين الحركة العمالية والحركة النقابية باعتبار أنه ليس ل كليهما نفس المفهوم.

الحركة النقابية كظاهرة اجتماعية لا تنشأ من فراغ، لأن ظهورها دائماً مرتبط بأسباب اجتماعية واقتصادية، الغرض منها تحسين ظروف العمال⁽²⁾. فإن من يطالع التطور التاريخي للحركة النقابية في كل من إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، يجد أن ظهورها يرجع أساساً إلى قيام الثورة الصناعية واكتشاف الآلات وتطويرها*، وهذا ما انعكس على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعمال، حيث ظهرت طبقة أصحاب رؤوس الأموال، كان همها الوحيد جمع المال والثروة، فبدأت باستغلال العمال دون مراعاة الوضع الاجتماعي الذي يعيشونه.

نتيجة لكل أنواع الاضطهاد والحرمان التي كان يعاني منها العامل من قبل طبقة الرأسماليين الذين كانوا يسعون إلى تحقيق مصالحهم الشخصية، ومن هذا المنطلق بدأت تتبلور فكرة الوعي النقابي وضرورة الكفاح الاجتماعي لدى الطبقة العاملة وهذا ما أسفر عنه تشكيل نقابات عمالية تخدم مصالح العمال وترعاها.

(1) العابد الكتني عقباوي: دليل العمل النقابي، [د - ن]، الجزائر، 2010، ص: 02.

(2) محمد خالد: الحركة النقابية بين الحاضر والماضي، تق: صلاح غريب، [د - ن]، [د - ت]، ص: 05.

* حيث أدت الثورة الصناعية إلى توفر رؤوس الأموال، والعمالة المدربة وأيضاً التطور الذي طرأ على أدوات الإنتاج، وتشجيع الاختراع والتطور في مجال الصناعة، وكانت إنجلترا من أسبق الدول الأوروبية التي ظهرت فيها الثورة الصناعية وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي المتميز. أنظر/ شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع، القاهرة، 2000، ص: 206-209.

الفصل الأول: العمل النقابي في تونس (1924 - 1938)

حيث بدأت في المملكة المتحدة إنشاء "جمعية المهندسين المندمجة" سنة 1720*، وأيضاً ظهور "النقابات الحرفية" وغيرها من النقابات الأخرى⁽¹⁾. كما بدأ الفكر النقابي بالانتشار في كامل أقطار العالم حتى أصبح حق قانوني تنص عليه كل دساتير دول العالم، ومن بينها دول العالم العربي التي سعت بدورها للمطالبة بحق ممارسة العمل النقابي في ظل السيطرة الاستعمارية، حيث كان ظهورها متأخراً في العالم العربي مقارنة بالدول الأوروبية، فمثلاً كان ظهور أول نقابة في المغرب سنة 1937⁽²⁾ ومصر سنة 1956⁽³⁾، والجزائر كانت سنة 1956⁽⁴⁾.

ومن هنا يمكن أن نوضح الفرق بين الحركة العمالية والحركة النقابية، فالحركة العمالية أو (حركة العمل) تصب فعاليتها في ثلاث جبهات: الجبهة السياسية، الجبهة الصناعية، والجبهة التعاونية⁽⁵⁾.

أما مصطلح الحركة النقابية فيقتصر على النشاطات التي تقوم بها النقابات في الجانب الصناعي، وفي قضايا اقتصادية لحماية مصالح أعضائها في العمل⁽⁶⁾.

يعتبر العمل في المجال النقابي أمر مهم، خاصة وأن هذا المجال يُكسب العامل المنضم أو المنخرط ضمن أي حركة نقابية، خبرة واسعة حول هذا النشاط، كما يتعرف في نفس الوقت على

* وهي أول تشكيل نقابي يظهر في إنجلترا والعالم سنة 1720، ظهرت كاحتجاج على التمييز بين العمال وملكية وسائل الإنتاج، وتم الاعتراف بالحق النقابي رسمياً في إنجلترا سنة 1871. أنظر/ حسن قرنفل: الشغل بين النظرية الاقتصادية والحركة النقابية، مطبعة إفريقيا للشرق، بيروت، 2006، ص: 208.

(1) محمد خالد، المرجع السابق، ص: 06.

(2) ألبير عياش: الحركة النقابية في المغرب 1942-1919، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1988، ج 1، ص: 175.

(3) محمد خالد، المرجع نفسه، ص: 07.

(4) عبد الوهاب شلالي، دور عمال المناجم الجزائريون في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ المعاصر، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2013، ص: 57.

(5) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (1924 - 1956)، زهران للنشر، الأردن، 2015، ص: 43.

(6) جمال البنا: دور النقابات في المجتمع الاشتراكي، المطبعة العالمية، القاهرة، 1967، ص: 23.

حقوقه التي من حقه أن يتمتع بها، وكان يجهلها نظرا لعدم توفر جهة مختصة تدافع عن حقوقه وتبينها له، كما توضح له كيفية المطالبة بهذه الحقوق في إطار القانون.

نفس الشيء حدث في الدول العربية، التي انتقل إليها العمل النقابي عن طريق انخراطها في نقابات الدول المستعمرة لها. فظهر في تونس مثل هذا النشاط، حيث كانت بداية العمل النقابي فيها متأخرة مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى، التي كان العمال فيها منذ زمن بعيد يمارسون هذا الحق ويطالبون بحقوقهم من خلاله.

المبحث الأول: عوامل ظهور العمل النقابي في تونس.

هناك العديد من العوامل والأسباب التي أدت إلى قيام العمل النقابي في تونس، ليكون له دور فعال في تحسين ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعمال، والوقوف في وجه السياسة الاستعمارية الفرنسية المتعسفة، والمنتهكة لحقوق العمال وكامل الشعب التونسي، وأيضا أن يكون لهذه الحركة النقابية مكانة كبيرة في الساحة السياسية إلى جانب الأحزاب السياسية الأخرى وتطالب بالاستقلال.

وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث، وذلك من خلال ذكر أهم العوامل التي أدت إلى بلورت الوعي القومي والفكر النقابي لدى العمال التونسيين، ومكنتهم من استغلال الوضع الاجتماعي المزري الذين يعيشونه لتحسين ظروفهم المعيشية، كما سنتعرف كذلك إلى نقطة مهمة وهي كيف أصبح الاستعمار الفرنسي أهم سبب في تبلور الفكر النقابي لدى العمال التونسيين؟. وما هي أهم السياسات التي مارستها فرنسا في تونس حتى تتمكن من السيطرة على جميع ثروات البلاد سواء المادية منها أو البشرية؟. وأيضا كيف مثلت الصراعات الإيديولوجية داخل الأحزاب السياسية التونسية أهم حافز تقوم على إثره الحركة النقابية في وجه السياسة الاستعمارية؟. بالإضافة إلى ذلك كيف كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها الشعب التونسي خاصة بعد نهاية حرب العالمية الأولى.

المطلب الأول: الاستعمار الفرنسي لتونس.

نتيجة لقرارات مؤتمر برلين الأول الذي عقد في عام 1878*، أصبحت تونس من نصيب فرنسا، حيث اعترفت هذه الأخيرة بأن تونس من حيث الموقع الجغرافي تعتبر امتدادا طبيعيا لممتلكاتها في شمال إفريقيا⁽¹⁾. كما أن بريطانيا لم تبدي أي معارضة من احتلال فرنسا لتونس، حيث صرح وزير خارجية إنجلترا اللورد " سال سبوري " لنظيره الفرنسي " وادنقتون " وزير خارجية فرنسا بقوله : " احتلوا تونس إن شئتم فانجلترا لا تمنع في ذلك بل تحترم قراراتكم "⁽²⁾. كما شجعت ألمانيا بدورها التوسع الفرنسي في تونس لتصرف أنظار فرنسا ، عن الالزاس واللورين⁽³⁾.

في إطار رغبة الدول الاستعمارية الكبرى في السيطرة على بلدان العالم الثالث، استطاعت فرنسا بفضل نفوذها بسط سيطرتها على دول شمال إفريقيا، تحت غطاء ما يسمى بالاستيطان أو الحماية⁽⁴⁾، حيث أخذت فرنسا بعد احتلالها الجزائر سنة 1830، تخطط وتعمل من أجل السيطرة على تونس وتأسيس إمبراطورية فرنسية في المغرب العربي. مستغلة في ذلك الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعاني منها البلاد التونسية⁽⁵⁾، وحالة الضعف العام التي سببتها التدخلات الأجنبية في الشؤون الداخلية لتونس⁽⁶⁾، وأيضا استيطان أعداد كبيرة من الجالية الأوروبية

* عقد مؤتمر برلين في 15 يونيو 1878. وكانت أهم قراراته أن تتولى النمسا إدارة البوسنة والهرسك، وتسنقل رومانيا والصرب والجبل الأسود. ومن بين ما جاء فيه هو أن ألمانيا وافقت على احتلال فرنسا لتونس وساندتها. أنظر/ شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص: 221.

(1) عزيز عبد الله مظلوم: سياسة بسمارك الدبلوماسية والتنافس الألماني تجاه المستعمرات في إفريقيا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم العلوم السياسية، جامعة سان كليمنتس، بغداد، 2012، ص: 10.

(2) علي المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن ضو وحليمة قرقوري، سراس للنشر، تونس 1986، ص: 35.

(3) عزيز عبد الله مظلوم، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) علي المحجوبي: العالم العربي الحديث والمعاصر، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009، ص: 51.

(5) محمد علي داهش: دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوجدانية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص: 41.

(6) علي المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(الفرنسية والايطالية خاصة) في الأراضي التونسية وسيطرتها على مرافق البلاد الاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾. كما كانت فرنسا من أكثر الدول التي سعت إلى زيادة نفوذها في تونس، حيث تنامت مصالحها الاقتصادية والثقافية بحصولها على العديد من الامتيازات⁽²⁾. ومن بين الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا من تونس هي حق احتكار صيد المرجان في جميع المياه الإقليمية للولاية التونسية⁽³⁾.

لم تكن الشركات الفرنسية التي تتمتع بامتيازات خاصة في تونس قائمة على أساس تجاري فقط بل أنشئت لإغراض أخرى، وهي احتكار واستغلال ثروات المناطق، وتأسيس المؤسسات وتحسينها⁽⁴⁾، وبالتالي سيؤدي إلى عمل استعماري حقيقي حيث يصفها " بول ماصو " أحد المسؤولين عن هذه الشركات الاحتكارية بقوله : " إن المؤسسات المرسلية في الجزائر وتونس أجنة لمستعمرات حقيقية "⁽⁵⁾. كل هذه المحاولات تصب في الهدف الأساسي للاستعمار وخاصة الفرنسي، وهو الهدف الاستغلالي وامتصاص ثروات المستعمرات، وتحويلها إلى سوق محتكرة لتصريف منتجاتها⁽⁶⁾. فالاستغلال إذن هو السبيل الوحيد حتى تتمكن الدول الاستعمارية من مد جذورها وتعميقها داخل البلدان المستعمرة في قارة إفريقيا وبالأخص في شمالها.

وعندما قررت فرنسا احتلال تونس، بادرت منذ نهاية سنة 1880⁽⁷⁾ إلى حشد قواتها على الحدود التونسية، كما قامت بسلسلة إجراءات تمثلت بإعداد الرأي العام الفرنسي لمواكبة الخطوة

(1) محمد علي داهش، المرجع السابق، ص: 41.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) مليكة الشيخ: العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2012، ص: 144.

(4) المرجع نفسه، ص: 146.

(5) المرجع نفسه، ص: 147.

(6) جمال حمدان: إستراتيجية الاستعمار والتحرر، دار الشروق، بيروت، 1983، ص: 117.

(7) عاطف عيد : قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر، Edeps Creps International، بيروت، 1998، ص: 65.

الفصل الأول: العمل النقابي في تونس (1924 - 1938)

التي باشرت باضطهادها بضغط اقتصادي وسياسي على إيطاليا لضمان عدم تدخلها في تونس*. وبالإضافة لذلك فقد استغلت فرنسا أوضاع تونس الداخلية المزرية وبالأخص منذ بداية 1815⁽¹⁾.

وعلى الرغم من السياسة الإصلاحية التي جاء بها الوزير " خير الدين "**، التي تعود إلى أواخر القرن الثامن عشر والتي لعب فيها دورا مركزيا في نقل قضية الإصلاح من الإطار النظري إلى صعيد الممارسة والفعل⁽²⁾. إلا أنها لم تستمر لفترة طويلة وسرعان ما لقيت معارضة من مختلف الجهات، وأيضا لعدم توفر الأرض الخصبة التي تمكنها من الاستمرار. بالإضافة إلى ذلك وما زاد الوضع الداخلي لتونس سوءا هي المناوشات الداخلية التي بلغت ذروتها سنة 1864⁽³⁾، ذلك بقيام ثورة " علي بن غدام"*** التي أشعلت البلاد بتمامها.

وكخطوة أخيرة لتبرير تدخلها في تونس ومحاولة تظليل الرأي العام التونسي بصفة خاصة والدولي بصفة عامة، حول فكرة أن تدخلها في تونس جاء من أجل تحقيق الاستقرار والأمن الداخلي للتونسيين، تذرعت الحكومة الفرنسية بضرورة حماية الحدود الجزائرية مدعية أن هذه

* وذلك أن إيطاليا كانت لها أطماع في الولاية التونسية، واستثمرت فيها رؤوس الأموال، كما حاولت نشر ثقافتها هناك، وهذا نتيجة الامتيازات التي حصلوا عليها من الدولة العثمانية. أنظر/ اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو): تاريخ إفريقيا العام - إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880 - 1935، إتش: آدو بواهن، مج 7، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1990، ص: 108.

⁽¹⁾ محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد مجينة، سراس للنشر، تونس، ط3، 1993، ص: 96.

**خير الدين التونسي: 1810-1879 سياسي ورجل إصلاح، تقلد عدة مناصب إلى أن صار وزيرا سنة 1873. شملت سياسته الإصلاحية كل الميادين من تعليم، زراعة وصناعة، ويعتبر رجل الإصلاح الأول في تونس. أنظر/ أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص: 146-183. وأيضا سمير أبو حمدان: خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1993، ص: 09.

⁽²⁾ أحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص: 97.

⁽³⁾ محمد الهادي الشريف، المرجع نفسه، ص: 99.

***ثورة علي بن غدام: قامت في ربيع 1964 من طرف عدة قبائل، كان السبب المباشر فيها هو زيادة ارتفاع الضرائب المفروضة على الشعب. بالإضافة إلى التغييرات التي طرأت على نظام الحكم والإدارة والقضاء التي لم يتقبلها الشعب. أنظر/ جون غانياج: ثورة ابن غدام 1864، تر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1965، ص: 11.

الفصل الأول: العمل النقابي في تونس (1924 - 1938)

الحدود تتعرض باستمرار لهجمات القبائل التونسية⁽¹⁾، وبالأخص قبائل بني خمير*، كما تذرعت بأن الحالة أصبحت غير محتملة، وأن الجرائم والاعتداءات ترتكب كل يوم⁽²⁾.

على هذا الأساس وفي شهر ماي من سنة 1881⁽³⁾. احتلت الجيوش الفرنسية تونس، وتوجهوا نحو العاصمة التونسية بقيادة الجنرال بربار⁽⁴⁾. ولم يمضي شهر على احتلال تونس، حتى طوّقت هذه القوات قصر " السعيد " مقر باي تونس الواقع في " باردو"***، وأجبرت الباي على توقيع المعاهدة التي نصت على اعتراف الباي باحتلال القوات الفرنسية لتونس⁽⁵⁾. ونصت هذه المعاهدة بالموافقة على الاحتلال للمراكز الفرنسية، التي تراها صالحة لتوطيد الأمن على الحدود والسواحل على أن يزول الاحتلال عندما يتفق الطرفان على عدم بقاء ضرورة له⁽⁶⁾، وأيضاً أن يتعهد الباي ألا يبرم أو يعقد أي معاهدة مع أية دولة أخرى إلا بموافقة من فرنسا⁽⁷⁾. وبالإضافة إلى ذلك أنه سينوب عن فرنسا وزير فرنسي مقيم يراقب تنفيذ ما تضمنته المعاهدة، وأن على حكومة الباي أن تتعهد بمنع إدخال الأسلحة للبلاد⁽⁸⁾.

هكذا خضعت تونس للاحتلال الفرنسي، ولم تكتفي فرنسا بتلك المكتسبات السياسية، بل أرادت أن تبسط نفوذها وسلطانها المطلق على البلاد. فأجبرت الباي على توقيع معاهدة جديدة عرفت باسم

(1) علي المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، المرجع السابق، ص: 40.

* خمير: هو عنصر من سكان تونس، سميت باسمه السلسلة الجبلية الممتدة على ساحل البحر بالشمال الغربي من البلاد التونسية، شهدت توغل الرومان ونفوذهم، ولم تحتل مقدمة الأحداث إلا في 1881 أثناء الحملة الفرنسية على تونس. أنظر/ محمد الطالب: دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة، تونس، 1994، ص: 91-92.

(2) محمد عبد الله عودة و إبراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر، الأردن، 1998، ص: 81.

(3) الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قوية جديدة 1830 - 1956، دار المعارف، تونس، ط2، [د-س]، ص: 25.

(4) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

** باردو: هي إحدى ضواحي مدينة تونس، يوجد فيها مقر الباي. أنظر/ سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 17.

(5) رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، دار روتابرينت للطباعة، مصر، 1996، ص: 141.

(6) محمد عبد الله عودة و إبراهيم ياسين الخطيب: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) يحي أبو زكريا: الحركة الإسلامية في تونس من الثعالي إلى الغنوشي، [www.nashiri.net]، 2003، ص: 16.

معاهدة المرسى في 8 يونيو 1883⁽¹⁾، وفيها تم فرض الحماية الفعلية على تونس وبدأت فرنسا في تسير شؤونها الإدارية والسياسية بصفة مباشرة، تحت خطأ الحماية وأن تواجدتها في الأراضي التونسية سيكون بصفة مؤقتة.

المطلب الثاني: سياسة فرنسا في تونس.

تعد سياسة فرنسا الاستعمارية في تونس من بين العوامل التي دفعت بالعمل النقابي التونسي بالظهور للساحة السياسية، فقد شملت هذه السياسة مختلف ميادين الحياة داخل المجتمع التونسي من إدارة وسياسة واقتصاد وثقافة، استطاعت من خلالها أن تُحدث تغيير وفجوات عميقة في هوية الشعب التونسي.

1- السياسة الإدارية :

أول جانب باشرت به فرنسا لتطبيق سياستها هو الجانب الإداري. حيث كان نظام الحماية يقوم على أساس أن تدخل فرنسا في تونس يقتصر فقط على إصدار الأوامر ومراقبة الأعوان الإداريين التونسيين⁽²⁾، دون تحمل مسؤولية سياستهم أمام الأهالي، ولكن سرعان ما تخلت عن نظام المراقبة، وتحولت تدريجياً إلى تدخل مباشر في جميع شؤون الإدارة وصلاحياتها⁽³⁾. كما أصبح المقيم العام يمارس جل صلاحيات الباي، خاصة وأن قانون 10 نوفمبر 1884⁽⁴⁾ بوأه المكانة الأولى في السلم السياسي، وأصبحت له الصلاحيات المطلقة في تعيين مدراء في الوزارات التونسية كخبراء أو مستشارين، كما ألغى معظم الوزارات ولم يُبقي سوى على منصب رئيس الوزراء ووزير القلم⁽⁵⁾، ومنصب سكرتير الإقامة الذي هو بمثابة حلقة الاتصال بين الوزراء

(1) راغب السرجاني: قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011 م، دار أقلام للنشر، القاهرة، ط2، 2011، ص: 22.

(2) نور الدين الدقي: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إ.ش: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج3، ص: 35.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

(4) المرجع نفسه، ص: 36.

(5) سعد توفيق البزاز: المرجع السابق، ص: 20.

التونسيين والمدراء الفرنسيين⁽¹⁾، وفي مقابل كل هذا كان نصيب الباقي في تونس هو تسليمه السلطة التشريعية، على أن لا تُنفَّذ المراسيم التي يصدرها إلا بعد تصديق المقيم العام الفرنسي عليها⁽²⁾.

أما عن وظائف الدولة فقد تغلغل الفرنسيون في أصغر الوظائف، غير مراعين اختلاف طبيعة نظام الحماية عن المستعمرة⁽³⁾. حيث جعلت الحكومة الفرنسية جميع الوظائف ذات الأهمية في الإدارة بين يدي الفرنسيين، وذلك عن طريق منحهم علاوات مختلفة. كما أن الموظف الفرنسي الذي يعمل في تونس كانت له ثلاثة وأربعون صنفًا من العلاوات التي تبلغ 75 بالمئة⁽⁴⁾ من ميزانية الدولة التونسية.

وفي مقابل كل هذه السياسة التي انتهجتها فرنسا تجاه التونسيين، فالمظهر الوحيد لإشراك العامل التونسي في الحياة العامة، يتمثل في قيام المجالس البلدية في المدن بقاعدة مناصفة المقاعد بين الجالية الأوروبية والتونسيون⁽⁵⁾. على الرغم من أن أغلبية السكان هم تونسيون، كما حالت دون مشاركة التونسيين في المناصب الإدارية المهمة في البلاد.

2 - سياسة التجنيس :

حاول الفرنسيون القضاء على الهوية العربية الإسلامية للشعب التونسي، وذلك من خلال سياسة التجنيس. حيث نشرت جريدة " إفريقيا الفرنسية " في يوليو 1927⁽⁶⁾ مقال توضح من خلاله سبب إصدار قانون التجنيس وما هو غرض فرنسا من إصداره على التونسيين، فجاء في

(1) صلاح العقاد: المغرب العربي الكبير الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1969، ص: 212.

(2) محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب: المرجع السابق، ص: 81-82.

(3) سعد توفيق البزاز: المرجع السابق، ص: 20.

(4) المرجع نفسه، ص: 21.

(5) جلال يحيى: المغرب الكبير وحركات التحرر والاستقلال، القومية للطباعة، مصر، 1966، ص: 329.

(6) أمحمد مالكي، المرجع السابق، ص: 184.

المقال ما يلي : " يُعد تجنيس غير الفرنسيين ضرورة مطلقة، بغرض تحقيق نوع من المساواة إزاء الإيطاليين، أو قصد إسعاف مجموعتنا الوطنية بأن تقوم بدورها التمديني "⁽¹⁾.

نستنتج من هذه العبارات أن التجنيس لم يكن أكثر من أداة واضحة لاستمالة جميع الطوائف المتواجدة في تونس لصالح فرنسا، حتى يسهل عليها تطبيق كل سياساتها التي ترمي إلى تحقيقها في تونس، لتجنب بذلك أي نوع من أنواع المعارضة والرفض، وفي نفس الوقت استخدمت سياسة التجنيس مدخلا عمليا للمساس بهوية التونسيين ومعنوياتهم.

وكإصرار من الاستعمار الفرنسي على اعتماد التجنيس أداة أساسية لتطبيق جزء من سياسته التي يسعى من خلالها إنجاز خطته الإستراتيجية بالمغرب العربي، قام بتأسيس أجهزة لرعاية مصالح المتجنسين التونسيين وصيانة حقوقهم، ومن ذلك " عصابة المسلمين الفرنسيين " ^{*}، وإلى جانب هذا فإن فرنسا سعت من خلال هذه السياسة تجنيس التونسيين بصورة جماعية، بدلا من تجنيس فقط الجالية الأوروبية المتواجدة في تونس⁽²⁾. مستغلة بذلك الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب التونسي في تلك الفترة وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى.

ورغم كل التخطيطات الفرنسية والمجهودات التي بذلتها لتجعل من فكرة التجنيس سياسة ناجحة تحقق من خلالها كل ما كانت تطمح إلى تحقيقه ، إلا أنها لم تتجح ، حيث لاقت الرفض من طرف الشعب التونسي ، الذي كان يرى في هذا المشروع هو مساس بهوية الشعب التونسي الإسلامية وفي نفس الوقت هي قضاء على مقومات شخصيته العربية ، التي لا يمكنه التخلي عنها واستبدالها بأي هوية أو دين آخر .

(1) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص: 184.

* هي عبارة عن جهاز استحدثته فرنسا من أجل تيسير سير مشروعها الذي ترمي من خلاله تجنيس التونسيين والقضاء على هويتهم العربية الإسلامية. كما جاء بهدف صيانة حقوق المتجنسين الجدد، وتسعى هذه العصابة لتحقيق جملة من الأهداف منها تحقيق تضامن وثيق الصلة بين المسلمين من ذوي الجنسية الفرنسية، وتنمية حب الوطن بين أعضاء العصابة. أنظر/ المرجع نفسه ، ص: 186.

(2) علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، عبد السلام جسوس، القاهرة، 1948، ص: 50.

حيث قامت العديد من المظاهرات التي ملأت شوارع تونس تتدد بهذا المشروع وترفض سياسة فرنسا الاستغلالية⁽¹⁾، كما أصدر شيوخ تونس فتاوى تدين من يأخذ الجنسية الفرنسية، وأن قبولها يعني الكفر خروج عن الإسلام، كما أن حامل الجنسية الفرنسية لا يدفن في مقابر المسلمين.

المطلب الثالث: الصراعات الإيديولوجية داخل الأحزاب السياسية التونسية.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (1914-1918)⁽²⁾، باشرت الحركة الوطنية التونسية نشاطها بصورة أقوى من ذي قبل، إذ سارع الوطنيون التونسيون في عرض قضيتهم على مؤتمر الصلح في باريس عام 1919⁽³⁾، وعندما لم يجدوا أي تجاوب واهتمام من منظمي المؤتمر، قرروا الاعتماد على أنفسهم، واتجهوا لتشكيل أحزاب سياسية تنظم عملهم وتسيره، منها الحزب الحر الدستوري القديم الذي تأسس سنة 1920⁽⁴⁾ على يد " عبد العزيز الثعالبي "، وكان حزبا سياسيا وإصلاحيا اجتماعيا ودينيا في نفس الوقت.

وقد شرح كتاب الثعالبي " تونس الشهيدة " الذي نشر في أوائل 1920⁽⁵⁾ بباريس البرنامج السياسي لتونس ومطالب الحزب التي تنادي بالاستقلال التام، وعرض الواقع الاستعماري الذي يعيشه الشعب التونسي، والأساليب الماكرة التي يلجأ إليها الاستعمار لجذب عواطف المستعمرين وتطبيق خطه الاستغلالية⁽⁶⁾.

(1) فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1997، ص: 286.

(2) غيلان سمير طه التكريني: الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 13، كانون الأول، 2012، ص: 187.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) يوسف مناصريه: الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دار المعارف، تونس، 2002، ص: 07.

* عبد العزيز الثعالبي: (1874-1944) عمل من خلال سياسته على فضح مخططات الفرنسيين، كانت له جهود كبيرة في المشرق العربي وفي تونس حيث شارك في حزب تونس الفتاة، كان له دور كبير في عرض القضية التونسية في المحافل الدولية مؤسس الحزب الدستوري التونسي سنة 1920، له مجموعة من المؤلفات أهمها كتاب تونس الشهيدة وكتاب روح القرآن الحرة. أنظر/ محمد بن يونس الشريف: عظماء منسيون، دار الأندلس الخضراء، تونس، 2010، ج 2، ص: 10-30.

(5) محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص: 116.

(6) مولود عويمر: تونس من خلال جريدة الشورى، جريدة الصباح، ع: 669، 15-11-2013، ص: 16.

نتيجة للضجة التي أحدثتها كتاب الثعالي خاصة في الأوساط الفرنسية. بدأ المعمرون والإدارة الفرنسية اللذان لم يتحملا الوضع بتدبير التهم للثعالي⁽¹⁾، التي انتهت بسجنه في 13 تموز 1920⁽²⁾، وذلك بتهمة التآمر على أمن الدولة.

ومن هنا بدأ الخلاف يظهر داخل الأحزاب السياسية، حيث اجتمع الأعضاء النافذين للحزب التونسي في 20 شباط 1920⁽³⁾، كي يضعوا حدا للخلافات القائمة بينهم حول مطالب الحزب الدستوري، فنتج عن هذا الاجتماع اتجاهين، الأول يساند سياسة الثعالي ويرفض أي تعامل مع الاستعمار، ولا يقبل بأي مطالب سوى الاستقلال التام للبلاد التونسية⁽⁴⁾، أما الثاني فهو الاتجاه الإصلاحية الذي لا يعارض سياسة الحماية الفرنسية في تونس، وتتحصر مطالبه في تحسين أجهزة الإدارة في البلاد دون المساس بالحماية⁽⁵⁾، وتزعم هذا الاتجاه "حسن القلاطي" *، الذي أسس حزب مستقل وهو الحزب الإصلاحية.

وتؤكد المصادر بأن هذا الحزب لم يتأسس بالمفهوم التنظيمي للحزب، وإنما هو عبارة عن جماعة تؤيد المنهج الإصلاحية المرحلي⁽⁶⁾، بالإضافة لذلك أصدر القلاطي جريدة (البرهان) في سبتمبر 1921⁽⁷⁾، كان الغرض منها هو التصدي ومجابهة الصحافة الدستورية، أدت في الأخير

(1) عبد العزيز الثعالي: تونس الشهيدة، تر وتو: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975، ص: 18.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص: 08.

(4) عبد العزيز الثعالي، المرجع نفسه، ص: 19.

(5) يوسف مناصرية، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* حسن قلاطي (1880-1966) ولد ببلدة بوغاري في الجزائر العاصمة، يعد رمز من رموز الحركة الوطنية في عهدها الأول، ساهم في الحرب الطرابلسية، كان من جملة من القي عليهم القبض بعد حوادث الزلاجة سنة 1912، نفي إلى الجزائر وعاد بعد الحرب العالمية الأولى، حضر تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي ولكن اختلف معه وأسس حزب الإصلاح، لكن لم يلب أن فشل وبعدها اعتزل السياسة وتوقف نشاط تجمعه السياسي. أنظر/ الصادق الزملي: أعلام تونسيون، تق وتو: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص: 333-337.

(6) صالح الخرفي: عبد العزيز الثعالي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص: 172.

(7) المرجع نفسه، ص: 173.

إلى قيام معركة صحافية بين الطرفين. كما أدى هذا الوضع أيضا إلى ولادة حزب سياسي جديد سنة 1922⁽¹⁾ تزعمه " فرحات بن عياد "، وكان سائرا هو الآخر في طريق الحماية، حيث لم يكن يعارض أي سياسة تصدر من إدارة الحماية الفرنسية، ويعتبر ما تقوم به هو في مصلحة الشعب التونسي.

ومن ثمة وجدت الحركة الوطنية التونسية نفسها تمر بمراحل ومحطات لا تحسد عليها، رغم النشاط المكثف الذي قام به رجال الحزب الدستوري التونسي، لتمكين هياكل الحزب والتعريف بمطالبه، وذلك عن طريق الخطب والمحاضرات أو المقالات المنشورة من خلال الصحف⁽²⁾، كما حضيت الحركة بتأييد كافة الفئات الاجتماعية، ومناصرة الأمير محمد الناصر باي⁽³⁾.

وأمام هذا الضعف والانشقاق، وجدت الإدارة الفرنسية الطريق مفتوح أمامها لمحاربة هذه الأحزاب وحلها. حيث تدخل المقيم العام " لوسيان سان " بكل ثقة لقمع هذه الأحزاب مستعملا أسلوب الترغيب والترهيب⁽⁴⁾، كما اغتتم المقيم العام الفرصة واستغل وفاة الناصر باي يوم 10 جويلية 1922⁽⁵⁾، وقام بإصدار مجموعة من الأوامر القمعية والمناهضة للحركة الوطنية، منها الأمر المؤرخ في 20 ديسمبر 1923⁽⁶⁾، والقاضي بمنح الجنسية الفرنسية للراغبين فيها من المواطنين التونسيين، كما أدى هذا الوضع إلى مغادرة العديد من زعماء الحركة الوطنية البلاد التونسية، نتج عنه في الأخير ركود الحركة الوطنية التونسية .

ومن هنا كانت هذه الظروف القاسية التي مر بها الكفاح السياسي في تونس عاملا أو سببا رئيسيا في بداية نشاط الحركة النقابية التونسية، التي أرادت أن تقوم بالدور الذي لم تستطع

(1) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص: 08.

(2) قدارة شايب: الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري، أطروحة دكتوراه دولة، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2007، ص: 101.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأحزاب السياسية القيام به، وذلك من أجل بث روح الحماس الوطني في صفوف الطبقة العاملة والشعب التونسي، وتأكيدا على أن المقاومة مستمرة مادام المحتل الفرنسي لم يغادر البلاد.

المطلب الرابع: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس (1914-1924).

بعدما أحكمت فرنسا قبضتها على تونس بمعاهدتين مهمتين بالنسبة لها (باردو والمرسى)* حولت من خلالهما سياسة تونس الداخلية إلى سياسة فرنسية تابعة لها، وبعدها وجهت أنظارها إلى الجانب الاقتصادي. حيث قامت بانتزاع الأراضي الخصبة من ملاكها الحقيقيين⁽¹⁾، واستولت على أراضي القبائل وأراضي الأوقاف**، وقامت بتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين بأثمان زهيدة⁽²⁾، ولم تكتفي بالاستيلاء على ثروة البلاد الزراعية، فاستولت على ثرواتها المعدنية ومنحتها لشركات فرنسية⁽³⁾، كما حولت الأسواق التونسية إلى أسواق تجارية تعرض فيها بضائعها ومنتجاتها الصناعية⁽⁴⁾. ولم تقف عند هذا الحد بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث أرادت سحق الهوية القومية للشعب التونسي وإلغاء عروبه⁽⁵⁾، كما تميزت فترة العشرينات في تونس بسيطرة السلطات الفرنسية المحتلة على كل مظاهر الحياة الاقتصادية، خاصة الفلاحية منها⁽⁶⁾.

* معاهدي باردو والمرسى: هما بمثابة ضمان قوي لفرنسا للاحتفاظ بتونس، فمن خلال معاهدة باردو أعطيت لفرنسا حق الإشراف على كل شؤون تونس. أما معاهدة المرسى فقد تعهد الباي من خلالها على قبول كل الإصلاحات الإدارية والقضائية والمالية التي تأتي بها فرنسا. أنظر/ إسماعيل أحمد ياغي و محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، دار الميرخ ، الرياض، 1993، ص: 99.

(1) حسن محمد جوهر: تاريخ تونس، دار المعارف ، مصر ، 1961 ، ص : 52 .

** بعد استيلاء فرنسا على الأوقاف، وحتى تخفف من وقع الصدمة على التونسيين، بحثت في الفقه الإسلامي عن حل يجيز للمستوطنين الاستيلاء على هذه الأراضي بالأساليب الملتوية، فتمسكوا برأي ضعيف في المذهب المالكي يبيح الإجارة المستديمة للأراضي الموقوفة، ويرأي آخر في المذهب الحنفي يبيح جواز استبدال العقار المؤقت الموقوف بآخر إذا كان ذلك في مصلحة الواقف، ومن خلال هذا استطاعت أن تقنع الشعب التونسي وتستولي على الأوقاف. أنظر/ على المحجوبي، انتصاب الحماية في تونس، المرجع السابق، ص: 44.

(2) حسن محمد جوهر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) غيلان سمير طه التكريني، المرجع السابق، ص: 188.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) فرحات عثمان: حفريات حول دور الحركة النقابية في النضال السياسي بتونس، مجلة نواة، [د-ع]، 23-07-2013.

ما إن خرجت فرنسا منتصرة في الحرب العالمية الأولى 1914-1918⁽¹⁾، بدأت فرنسا مباشرة في تنفيذ استثماراتها الفعلية في الأراضي التونسية . فقامت باستثمار الصناعات المنجمية والاستخراجية وتوسيع شبكة المواصلات الحديدية وغيرها⁽²⁾، إضافة لذلك لم تقتصر الصناعة الأوروبية على الترويج لمنتجاتها فحسب، بل أخذت أيضا في تقليد بعض المنتجات التقليدية التونسية. ومن ذلك الشاشية الفرنسية التي غزت السوق التونسية منذ أواخر القرن التاسع عشر رغم مستواها الرديء⁽³⁾، كما فاقت مبيعات الشاشية الفرنسية مبيعات الشاشية التونسية⁽⁴⁾، وهذا ما أدى إلى تفاقم ظاهرة النزوح الريفي طمعا في إيجاد حياة جديدة أفضل.

استطاع المعمرون الفرنسيون والايطاليون الاستحواذ على ما يناهز 800 ألف هكتار⁽⁵⁾ من الأراضي الخصبة التونسية، مستخدمين في استثمارها الأساليب الحديثة المتطورة مثل الجرارات وحاصدات⁽⁶⁾، وقد خلقت هذه المزارع الحديثة سوق عمل جيد يضم عشرات الآلاف من العمال الزراعيين، ولم يترك الاستعمار الفرنسي إلا هامشا صغيرا للبرجوازية التونسية، حيث اقتصر على التجارة والعقار من دون أن تطمح في المشاركة الفعلية في الصناعات الأخرى⁽⁷⁾.

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى في تونس تحسن الوضع الاقتصادي في الفترة 1919-1925⁽⁸⁾، حيث تضاعفت استثمارات الرأسماليين بشكل كبير، رافقها تكوين شركات جديدة وازدياد عدد المنشآت من صناعات استخراج المعادن، بلغ عدد هذه المنشآت 58 منشأة سنة

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 45.

(2) المرجع نفسه، ص: 46.

(3) أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص: 176.

(4) المرجع نفسه، ص: 177.

(5) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، ص: 46.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) إيفانوف: ولادة الحركة العمالية الوطنية التونسية 1924-1925، تر: حفناوي عمايرية، جريدة الشعب، [د - ع]، 2007.

(8) المرجع نفسه.

الفصل الأول: العمل النقابي في تونس (1924 - 1938)

1924⁽¹⁾، بينما لم يكن عددها يتجاوز 37 في عام 1914⁽²⁾، وكان نتيجة لذلك ارتفاع قيمة صادراتها من 15.0 مليون فرنك في عام 1914 إلى 97.7 مليون فرنك عام 1924⁽³⁾. كان معظم العمال التونسيين يشتغلون بالزراعة، يتراوح عدد العاملين منهم بالصناعة والنقل ما بين 30.000 و 35.000⁽⁴⁾ يعمل نصفهم تقريبا في الصناعات المنجمية، وارتفعت هذه النسبة في السنوات التي جاءت بعد الحرب العلمية الأولى مباشرة. وهكذا على سبيل المثال ارتفع عدد المناجم من 14350 منجم سنة 1920 إلى 19920 منجم سنة 1924⁽⁵⁾. وتقيد المعطيات التي قدمها " جوهري " * أن عدد الشغالين في المناجم يبلغ 20000 عاملا من بينهم 80 بالمئة من التونسيين⁽⁶⁾.

بالإضافة إلى طبيعة السكان الريفية التي تسيطر على تفكيرها العادات والتقاليد والأفكار الدينية المتأصلة، وخضوعها لسلطة شيخ القبيلة والطرق الصوفية المتعددة⁽⁷⁾، وأيضا انتشار الفقر والامية حيث يذكر " إيفانوف " أن نسبة من يعرف القراءة والكتابة تقدر بـ 2 % في سنة 1924⁽⁸⁾. كما كان هؤلاء يخشون حياة المدينة التي أجبروا على الانتقال إليها بسبب سوء الأحوال المعيشية، وصعوبة الحصول على العمل، كل هذا أدى إلى زيادة نسبة البطالة التي أصبحت ظاهرة سلبية يعاني منها الشعب التونسي.

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 46.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) إيفانوف، المرجع السابق.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* جوهري: هو الأمين العام للاتحاد العام للعمال في فرنسا (C . G. T)، وهو تابع للحزب الاشتراكي الفرنسي، وهو رجل إصلاحى انتهز في عمل في الحقل النقابي مدة نصف قرن، امتاز بمشاركته في محاولة إحباط الحركة العمالية في تونس. أنظر/ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) إيفانوف، المرجع نفسه.

(7) حسين كروم: العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، مجلة قضايا عربية، ع: 2، السنة الخامسة، بيروت، 1978، ص:

94 .

(8) إيفانوف، المرجع نفسه.

أما تشريعات الشغل فقد كانت في وضع بدائي جدا. لم تكن هناك من تشريعات في تونس سوى التي تخص حوادث الشغل، وكذلك بعض التشريعات المتعلقة بالتشريع وبعطلة آخر الأسبوع⁽¹⁾، كما قاوم أرباب العمل بعنف قانون 1919⁽²⁾ الفرنسي القاضي بتحديد ساعات العمل بثمانى ساعات، محتجين بأن هذا القانون يهدد مستقبل اقتصادهم⁽³⁾. كما أن السلطات الفرنسية ترفض بشكل خاص حق العمال في التجمع ضمن نقابات وهكذا تحرمهم من أهم سلاح للدفاع عن مصالحهم الطبقية⁽⁴⁾. حيث يعتبر الاعتراف بالحق النقابي هو الشرط الضروري لتقدم أي تشريع اجتماعي على العلم أن النقابات في تلك الفترة كانت تنشأ دون تخويل قانوني.

كان العمال التونسيون يخضعون للتفرقة العنصرية، فكانوا يعاملون على أنهم عمال من الدرجة الثالثة، ومن ذلك التفاوت في الأجور بينهم وبين العمال الأجانب. فكان بعض العمال التونسيين يتقاضون أجره يومية تتراوح ما بين 2024 فرنك و 4 فرنكات⁽⁵⁾، في الوقت الذي يمنح فيه لجميع الموظفين الفرنسيين بصرف النظر عن مكان ونوعية عملهم مرتبات أجره تساوي 33.3 فرنك⁽⁶⁾.

كل هذه الظروف أدت إلى تدهور الوضع المالي للتونسيين بعد الحرب، وكانت النتيجة أن حوّل العمال نعمتهم على النظام الاستعماري المتمثل في سلطة الحماية، حيث كتب " الطاهر الحداد " * يقول بأن العمال: " يعتبرون أن شقاءهم آت من الحكومة التي تحرمهم مما هو ضروري ولا تقيهم المصائب التي تعترضهم، ولا توفر لهم المعرفة التي يحتاجونها ولا

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 49.

(2) المرجع نفسه، ص: 50.

(3) إيفانوف، المرجع السابق.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) إيفانوف، المرجع نفسه.

(6) المرجع نفسه.

* الطاهر الحداد: ولد بالحامة، يعتبر أحد رموز ورواد الإصلاح والتحديث، كان من مؤسسي الحزب الدستوري الحر 1920، كما ساهم في تأسيس جامعة عموم عملة تونس 1924، من شعاراته تحرير المرأة حيث ألف كتاب " امرأتنا في الشريعة المجتمع ". أنظر/ نور الدين بالطيب: الطاهر الحداد في قبضة المتشددین، مجلة الأخبار ،ع: 2514، الاثنين 9 شباط، 2010.

تنصفهم⁽¹⁾. لذلك أيد العمال الحزب الدستوري وآمنوا بشعاراته التي تدعوا إلى محاربة الامبريالية والتصدي لها، أيضا قرروا تكوين حركة نقابية مستقلة، يحققوا من خلالها كل مطالبهم وطموحاتهم التي سيتحسن من خلالها وضعهم الاجتماعي والاقتصادي الذي لطالما عانوا منه الكثير بسبب السياسة الاستعمارية المتسلطة.

المبحث الثاني: جامعة عموم عملة تونس الأولى والثانية (1924 - 1938).

يرى الطاهر الحداد أن النضال السياسي بقيادة الحزب الدستوري، هو ما وعاه الشعب التونسي قبل أي نضال آخر⁽²⁾، إلا أن الشعب بدأ يدرك أن هذا النضال وحده لا يكفي، لأن الحزب الدستوري كان يعبر فقط عن مصالح البرجوازية الوطنية⁽³⁾، ولهذا السبب لم يكن قريبا من الشعب ومن الطبقة العاملة، ولهذا السبب أيضا سعى العمال التونسيون إلى إيجاد تنظيم آخر يوفر لهم مجال أوسع لتحقيق مطالبهم وتحسين ظروفهم.

ومن هذا المنطلق سناحول من خلال هذا المبحث أن نتعرف على أهم المراحل التي مر بها العمل النقابي في تونس أثناء مرحلته الأولى، من خلال تأسيس أول إتحاد يضم العمال التونسيين والمتمثل في جامعة عموم عملة تونس الأولى، التي كانت بمثابة اللبنة الأولى للعمل النقابي في تونس، كما سناحول التعرف على أهم الجوانب التي مستها الجامعة النقابية الأولى لتحسين ظروف العمال وتوفير حياة أفضل لهم، بالإضافة إلى ذلك سنتطرق للتعرف على ردة فعل السلطات الاستعمارية تجاه هذا العمل وكيف كان مصيره.

المطلب الأول: تأسيس جامعة عموم عملة تونس الأولى 1924.

تعرف العمال التونسيون على الحركة النقابية من خلال انخراطهم في الاتحادية النقابية الفرنسية بتونس عام 1919⁽⁴⁾، وهي نوع تابع للمركز النقابي العام في باريس، الذي كان يسيطر

(1) الطاهر الحداد: العمال التونسيين وظهور الحركة النقابية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص: 247.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) إيفانوف، المرجع السابق.

(4) الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 185.

عليه الاشتراكيون⁽¹⁾، حيث تأثر بها العمال التونسيون من خلال شعاراتها وخطاباتها والإضرابات التي كانت تقوم بها، فانظموا على اثر ذلك إلى هذه النقابات وشاركوا ضمن فعاليتها، وأدى هذا بالتالي إلى نمو الوعي لديهم وتكونت عندهم فكرة واضحة عن العمل النقابي، وكيفية طرح وتقديم مطالبهم والنضال من أجل تحقيقها.

عرفت الحركة النقابية في تونس بعد الحرب الأولى تطورا واضحا، حيث أخذت حركة الإضرابات شكلا جماهيريا واسعا، شملت من خلاله أهم المؤسسات التي تتوفر على أعداد كبيرة من العمال، ففي سنة 1920⁽²⁾ أضرب كل عمال السكك الحديدية وعمال المناجم ومستخدمي الترومواي، وفي 1921⁽³⁾ كان إضراب عمال مطاحن الحبوب إضرابا فعالا بلغ حدا اضطرت فيه السلطات للجوء إلى استخدام الإدارة العسكرية لجلب الدقيق من ميناء مرسيليا. وعلى الرغم من أن هذه الإضرابات كان مآلها الفشل، إلا أن العمال التونسيون تأكدوا من أن مشاركتهم في الاتحاد النقابي الفرنسي لن تحدث لهم أي تغيير، وذلك بسبب التفرقة التي كانت تمارس بينهم وبين العمال الأوروبيين، كما أن هذا الاتحاد لم يكن يهتم كثيرا في الأخذ بيد العمال التونسيين المشاركين في الإضراب وتوزيع الإعانات عليهم. فكانت النتيجة أن كثيرا من العمال بدؤوا ينسحبون من هذه النقابات بالتدريج، وأسس بعضهم جمعيات أو صناديق تعاونية مستقلة، مثلما فعل عمال سكك الحديد عندما أسسوا (جمعية الاتفاق الودادي)⁽⁴⁾، وكذلك عملة معمل التبغ الذين رفضتهم النقابة الفرنسية التي لا تقبل المسلمين بنص صريح⁽⁵⁾.

لم يكن العمل النقابي لهذه التعاونيات مصرح به وإنما كانت تعمل في الخفاء، لأن الإدارة الفرنسية لم تكن تسمح في ذلك الوقت بالحق النقابي للتونسيين، ولا لأي مستعمرة أخرى من

(1) الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 185.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) إيفانوف، المرجع السابق.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 55.

(5) إيفانوف، المرجع نفسه.

مستعمراتها. في مثل هذه الشروط التي رافقت بداية الحركة العمالية والنقابية، ومع اشتداد التناقضات بين التونسيين وزعماء النقابة الفرنسية، بدأ العمال التونسيون ينظمون أنفسهم، وقد وجدوا من يقودهم في شخص المناضل الدكتور محمد علي الحامي* الذي عاد من ألمانيا في مارس 1924⁽¹⁾. ما إن وصل هذا الأخير حتى شرع في تأسيس نوع من التعاونيات الاستهلاكية تحت اسم "جمعية التعاون الاقتصادي التونسي"⁽²⁾. حيث اجتمع في قاعة الجمعية الخلدونية مع مجموعة من رفاقه، وتمت خلاله المصادقة على قانون الجمعية في 29 من حزيران 1924⁽³⁾، وبعد أسبوع أُسست لجنة لجمع التبرعات ولجنة أخرى للإشراف كان على رأسها محمد علي⁽⁴⁾، ثم انطلق أعضاء الجمعية لبث الدعاية لها وشرح أهدافها ومبادئها، فأقيمت اجتماعات ومهرجانات في جميع أنحاء تونس وقام محمد علي بإلقاء الخطب⁽⁵⁾. حيث يذكر أن "الحبيب بورقيبة" قد وصفها في مقولته: "إن خطابه كانت تؤثر بقوة، لصدق لهجته ووضوح صرحه وعمق نظرته"⁽⁶⁾.

* محمد علي الحامي: ولد محمد علي في قرية الحامة قرب مدينة قابس. عمل متطوعاً في حرب طرابلس ضد الغزاة الطليان. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى 1918 استقر في برلين، وهناك تحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي. وفي عام 1924 رجع إلى تونس فكان من أولى الدعامات الأساسية التي استند عليها الحركة النقابية بتونس حيث يعتبر أب هذه الحركة، لقي مواجهة شديدة من السلطات الفرنسية والأحزاب السياسية على رأسها الحزب الدستوري، وانتهت بالحكم عليه بالنفي وذلك في تاريخ 05 فبراير 1925 وكان مصيره أن يموت في منفاه في الحجاز اثر حادث سيارة. أنظر/ ايفانوف، المرجع السابق، ص: 08. الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 185-186-187. وأيضاً أحمد خالد: الطاهر الحداد والبيئة التونسية في الثلث الأول من القرن العشرين، الدار التونسية، تونس، 1967، ص: 140-141.

(1) أحمد خالد: المرجع السابق، ص: 140.

(2) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص: 185.

(3) المرجع نفسه، ص: 186.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص: 185.

** الحبيب بورقيبة: 1900-2000 وقد أطلق عليه عدة ألقاب منها الزعيم والمجاهد الأكبر والرئيس الأبدى. كان رئيس الحزب الدستوري التونسي الحر، سجن بعد الحرب العالمية الأولى، ناضل من أجل استقلال تونس إلى أن حصلت عليه سنة 1956، انتخب رئيساً للجمهورية التونسية مدى الحياة في مارس 1975. أنظر/ الصادقي سعيد: بورقيبة سيرة شبه محرفة، رياض الريس للنشر، لبنان، 2000، ص: 13. الطاهر بلخوجة: الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999.

(6) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 55.

الفصل الأول: العمل النقابي في تونس (1924 - 1938)

لم يُكتب للتعاونية الاقتصادية الاستمرارية والصمود، كما لم تتح لها الفرصة لتبرز للوجود. ذلك لأن محمد علي انهمك في هذه الفترة بتسيير وتنظيم حركة الاعتصام التي بدأها العمال التونسيون في ميناء تونس، في منتصف شهر آب من عام 1924⁽¹⁾، مطالبين بأجرة تساوي أجرة عمال مرسيليا . لكن تعرضت لجنة الإضراب لحملة معادية من الصحافة البرجوازية⁽²⁾، التي طالبت بإرسال الجيش والمساجين إلى الميناء من أجل فك الإضراب، وفي 28 نيسان⁽³⁾ نظمت مظاهرة احتجاج على تشغيل البدو الذين جيء بهم لكسر الإضراب، وخلال الاصطدام مع البوليس جرح ثلاثة من العمال المتظاهرين⁽⁴⁾. ثم انتشرت حركة الإضراب حتى عمت قسما كبيرا من العمال التونسيون.

ما إن انتهت حركة الاعتصام، حتى نشط محمد علي في تنظيم الصفوف وتأسيس نقابات عمالية مستقلة تسهر على مصالح العمال وترعاهم. فكانت أولى نقابة يباشر بتأسيسها هي نقابة "عمال ميناء تونس"⁽⁵⁾ وتبعتها بعد ذلك نقابات عديدة انتشرت في معظم أنحاء القطر التونسي. وفي 12-10-1924⁽⁶⁾ تم الإعلان عن توحيد تسعة نقابات محلية وتكوين "جامعة عموم عملة تونس"، كما تم المصادقة على النظام الداخلي للجامعة وتكوين هيئتها القيادية، وعين محمد علي الأمين العام للإتحاد، و"مختار العيادي" * مسؤول الدعاية نظرا لبراعته في تنظيم الحشود.

(1) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 135.

(2) إيفانوف، المرجع السابق.

(3) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص: 186.

(4) إيفانوف، المرجع نفسه.

(5) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) إيفانوف، المرجع نفسه.

* مختار العيادي: المناضل وطني ونقابي ولد سنة 1889 وتوفي 1963 من ولاية مكناس، انضم إلى الحزب الشيوعي وكان له دور كبير فيه من خلال الدعاية، كما ساهم في إنشاء جريدتي حبيب الأمة و حبيب الشعب، وهذا ما أدى إلى تخوف السلطات الاستعمارية منه فحكمت عليه بالحبس وبعدها نفي خارج البلاد. أنظر/ عبد الجبار الذهبي: الندوة الوطنية حول المناضل النقابي والوطني المرحوم مختار العيادي، جريدة الشعب، [د-ع]، 11-12-2010. وأيضا العيفة نصر: الندوة الوطنية حول المناضل النقابي والوطني مختار العيادي، جريدة الشعب، [د-ع]، 11-12-2010.

تكتل عمال تونس هذه المرة وقد استطاعوا تشكيل قوة عمالية هائلة تناضل ضد المستعمر وسلطاته الاستغلالية، من أجل نيل حقوقها المسلوبة، حيث تقدم العمال التونسيون بمطالب عديدة للسلطات منها ما يخص المساواة مع الأوروبيين في الأجور، عطل الشغل وأيضا ما يخص ساعات العمل، لكن تجاهلتها السلطات الفرنسية وضربت بها عرض الحائط.

هذه المطالب لم تكن تخص فقط تحسين ظروف العمال، وإنما تخص أيضا اعتراف الحكومة الفرنسية بالحق النقابي للتونسيين، حيث أنه سنة 1905⁽¹⁾ تقدموا للحكومة بهذا الطلب، إلا أن هذه الأخيرة بقيت مصرة على معارضتها الشديدة لمنح التونسيين هذا الحق وحالت دون تحقيقه كما أوصت اللجنة الاستشارية بعدم الاعتراف للعملة بالحق النقابي في المستقبل، وقد ساندت الصحف الاستعمارية هذا الاتجاه⁽²⁾، أما أوساط أرباب المهن، فأخذت تقوم بالضغط على باريس لمعارضة منح الحق النقابي للتونسيين⁽³⁾.

نتيجة لتجاهل فرنسا مطالب العمال وضربها عرض الحائط، قرر العمال التونسيون وقتها توجيه ضربة واضحة لفرنسا يبينوا من خلالها أن العمال التونسيون يرفضون هذا الوضع، ويحتجون على الممارسة العنصرية والتمييز الذي تقوم به تجاههم. إذ أعلن العمال التونسيون الإضراب العام سنة 1924⁽⁴⁾، ووقع على إثره صدام عنيف في بنزرت بين الفرنسيين والعمال، سقط فيه عدد كبير من الشهداء التونسيين، وامتدت هذه الأحداث الدامية إلى جبل الخروبة، حمام الأنف وتونس العاصمة⁽⁵⁾، وقد تعطلت المواصلات والصناعات في جميع المرافق التي يسيطر عليها

(1) مصطفى كريم: قضية الحقوق النقابية بتونس 1881-1832، المجلة التاريخية المغربية، ع: 3، تونس، 1975، ص: 62.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 186.

(5) أحمد خالد: ميلاد جامعة عموم عملة تونس، جريدة الشعب، [د-ع] 02-12-2006، على الخط المباشر:]

[[http:// www.achaab.info.tn](http://www.achaab.info.tn)]

الفرنسيون⁽¹⁾، وتأكدت من خلالها فرنسا أن تكتل التونسيون أصبح يشكل عائقا كبيرا يقف في طريق سياستها ويجب عليها إيقافهم.

المطلب الثاني: موقف السلطات الفرنسية من جامعة عموم عملة تونس الأولى.

إن النجاحات والانتصارات التي حققتها جامعة عموم عملة تونس، من خلال انتشارها في كامل القطر الوطني والتفاف العمال حولها وزيادة شعبية مؤسسها محمد علي، كل هذه عوامل دفعت بالسلطات الفرنسية والمستوطنون الأجانب وكل من يعادي هذه الحركة بأن يُحسّوا بالخطر على مصالحهم وسياساتهم، فقرروا بذلك محاربتها والوقوف لها والعمل على حلها.

كان الاشتراكيون الفرنسيون المسيطرون على الإتحاد النقابي العام للشغل (C.G.T)، أول من أحس بخطر هذه الحركة، فكانت أول ردة فعل قاموا بها هي بعثهم لكتابهم العام " دوريل " إلى باريس ليطلع الهيئة العليا لمنظمة الإتحاد العام هناك بأن الإيالة التونسية مهددة بقيام شغب حركة عمالية معادية للأجانب⁽²⁾، واتهام قادة الحركة بالتعصب الديني والعنصري، وأنهم عرّضوا الكادحين لتعسفات رأس المال ساعين من وراء ذلك تأليب الرأي العام الفرنسي ضدهم. كما قامت الإدارة الفرنسية بدورها خلق ذريعة للتدخل في ذلك الصراع، فسلطت ضغوطا على مجموعة من المسؤولين النقابيين ليقنعوا عن مساعدة حركة محمد علي ويجهرها بأنها قومية إسلامية تنافي الاتجاه العمالي الوحدوي وتعاوي الأجانب⁽³⁾، فانصاع لهذه المكيدة النقابي " أحمد بن ميلاد ".*

كانت ردة فعل أعضاء الحركة النقابية أن قاموا بإصدار بلاغ رسمي في جريدة " لافنير سوسيال " يوم 26 أكتوبر 1924⁽⁴⁾ باسم الهيئة التنفيذية لجامعة عموم العملة، يدحضون فيه ما

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص 64.

(2) أحمد خالد: ميلاد جامعة عموم عملة تونس، المرجع السابق.

(3) المرجع نفسه.

* أحمد بن ميلاد: كاتب نقابة الطرازين على الجلد وكان عضوا في الحزب الشيوعي، وقد سجن بعد حادثة بنزرت، كان عضوا بارزا في اللجنة الوقتية المكلفة بالإشراف على العمل النقابي قبل تأسيس جامعة عموم العملة التونسيين. أنظر/ المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

ادعاه أحمد بن ميلاد ضدهم. وبالرغم من كل المحاولات إلا أن رئيس الحكومة الفرنسية رفض الاعتراف بمحمد علي وبالحركة النقابية، كما رفض أي تعامل معه⁽¹⁾، وهكذا وقف كل من قادة الإتحاد الاشتراكي والحكومة موقفا سلبيا ضد هذا العمل النقابي، وطالبوا بتتزيل أشد العقاب على محمد علي، على الرغم من مساندة الحزب الشيوعي الفرنسي لهم وذلك من خلال الإضراب الذي قام به عمال مرسيليا في آب 1924⁽²⁾ تضامنا مع عمال تونس، كذلك عندما قال " بترون " النائب الشيوعي في تونس مقولته الشهيرة: " بمقتضى معاهدتي بارديو والمرسى ليس هناك سوى حق واحد لفرنسا بتونس هو حقها في الرحيل "⁽³⁾. تعتبر مساندة الحزب الشيوعي للحركة النقابية في تونس هي العامل الأساسي الذي دفع بالاشتراكيين إلى القضاء على نشاط الحركة.

في ظل هذه الظروف كانت الجامعة النقابية تأمل بدعم الحزب الدستوري، وذلك بعدما كانت تمثل الشق النقابي له، لكن الحزب تخلى عن نضالات العمال وعن محمد علي⁽⁴⁾. وفي ظل هذه الظروف قررت الحكومة الفرنسية الاستفادة من الخلاف الواقع بين الأحزاب السياسية والحركة النقابية وخلق تعارض بينهما حتى تتمكن من إضعاف الحركة الوطنية في مجملها، وفعلا نجحت في استدراج قيادة الدستور نحو الفخ الذي نصبت له. حيث نشرت جريدة " لبيرال " لسان حال الحزب الدستوري بتاريخ 07 فيفري 1925⁽⁵⁾ تقول: " أن الحركة العمالية التي يتزعمها محمد علي الحامي لا تربطها أي علاقة بالحركة الدستورية "، وفي 22 فيفري 1925⁽⁶⁾ نشرت جريدة النهضة الناطقة باسم الحزب الإصلاحية، نداء مفاده أن محمد علي ليس له أي سلطة مباشرة

(1) أحمد خالد: ميلاد جامعة عموم عملة تونس، المرجع السابق.

(2) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 72.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) عبد الرزاق بالرجب: حقيقة العلاقة بين الحزب الدستوري التونسي وجامعة عموم العملة التونسيين، جريدة تونس، [د - ع]،

نشر بتاريخ 09-06-2014، ص: 02-03.

(5) إيفانوف، المرجع السابق، ص: 12.

(6) أحمد خالد: ميلاد جامعة عموم عملة تونس، المرجع نفسه.

على العمال، وأنه استغل نفوذه بواسطة الصحافة لدعوة العمال للانضمام لجامعة الاتحاد النقابي التونسي.

في يوم 03 فيفري 1925⁽¹⁾ قدمت للمقيم العام الفرنسي خمسة تقارير حول التهم التي أعدت لإلقاء القبض على محمد علي ورفاقه بتهمة التآمر على أمن الدولة⁽²⁾، وفي نفس اليوم أصدرت وزارة الخارجية الفرنسية قرار، تؤيد فيه تنفيذ المؤامرة التي تم إعدادها ضد جامعة عموم العملة وقيادتها الشيوعية⁽³⁾.

انتهى الأمر بنفي محمد علي الحامي لمدة 10 سنوات. حاول بعدها الالتحاق بثورة "عبد الكريم الخطابي" في الريف المراكشي، إلا أنه أعتقل في جبل طارق وأعيد إلى إيطاليا، ومنها ذهب إلى مصر⁽⁴⁾. وكان من نصيب محمد علي أن يقضى بقية حياته وهو يحاول بكل جهده أن يواصل النضال مع إخوانه في تونس، وبهذا انتهى عمل جامعة عموم عملة تونس الأولى، ولم تتسنى لها الفرصة لتحقيق أهدافها التي قامت من أجلها، على الرغم من أنها أحدثت هزة عنيفة داخل الحكومة الفرنسية جعلتها تتأكد من أن وحدة الشعب التونسي ستؤدي لا محالة إلى زوال الاستعمار الفرنسي وطرده من البلاد، وأنه إذا أرادت أن تحافظ على وجودها عليها أن تسعى إلى تفكيك وتشيت الشعب التونسي.

(1) إسماعيل حيدر: دفاعا عن محمد علي الحامي في ذكرى وفاته، جريدة الشعب، [د-ع]، نشر بتاريخ 23-05-2009. على الخط المباشر: [<http://www.achaab.info.tn>].

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

* عبد الكريم الخطابي: مناضل وطني قاوم الاستعمار الإسباني والفرنسي، قام بثورة الريف 1921-1926. دعا إلى فكرة تحرير المغرب العربي وتوحيد أقطاره. أنظر/ محمد العربي المساوي: محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012، ص: 17. أيضا لمياء بوقريوة: مجلة كان التاريخية، ع: 16، السنة الخامسة، 2012، ص: 80.

(4) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 187.

المطلب الثالث: إعادة بعث جامعة عموم العملة التونسيين الثانية 1937.

بعد إنهاء تجربة الحركة العمالية الأولى واعتقال زعمائها وتفتيت صفوفها، كثفت (C.G.T) جهودها لكسب منخرطين تونسيين، فأيدت بعض تحركاتهم مثل إضراب نوفمبر 1927⁽¹⁾ الذي قام به العمال من أجل الزيادة في الأجور وتخفيض عدد ساعات العمل مثل الأوروبيين، كما تبنت العديد من هذه المطالب المهنية، وقامت بتنظيم إضرابات هامة خلال سنة 1928⁽²⁾ نفذها عمال النّزّام وعمال الرصيف. وتدخل هذه الحملة في إطار التنافس الحاد بين (C.G.T) والكونفيدرالية العامة للشغل الموحدة (C.G.T.U)⁽³⁾ ذات النزعة الشيوعية لجلب عمال شمال إفريقيا إلى صفوفها.

أدى استلام الجبهة الشعبية مقاليد السلطة في فرنسا، إلى بروز معطيات جديدة في المستعمرات⁽⁴⁾. منها أن سلطات الحماية في تونس بدأت تأخذ نوع من المهادنة والكف عن ممارسة القمع، كما سُنَّ تشريع جديد يسمح بممارسة الحق النقابي في تونس منذ 16 نوفمبر سنة 1932⁽⁵⁾. وهذا ما أدى بالحركة النقابية الاجتماعية بالامتداد إلى كامل البلاد التونسية، وذلك من خلال التحاق عدد كبير من التونسيين بالعمل النقابي صلب الكونفيدرالية العامة للشغل.

على الرغم من انضمام العمال التونسيون ضمن الكونفيدرالية العامة الفرنسية، إلا أنه بقي هناك نوع من التفرقة بين المنخرطين في المنظمة من التونسيين والأوروبيين. وقد برزت هذه التناقضات في بعض المناسبات مثل الإضرابات التي انجرت عنها حوادث دامية في مارس 1937⁽⁶⁾ في

(1) عبد السلام بن حميدة، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال، المرجع السابق، ص: 129.

(2) المرجع نفسه، ص: 130.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) نور الدين حشاد: فرحات حشاد وتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ع:

86، السنة 15، الجزائر، مارس 1985، ص: 80.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مناجم المتلوي والمضيلة حيث انفصل العمال الأوروبيون عن المضربين التونسيين. في ظل هذه السياسة العنصرية وبمجرد السماح بالحق النقابي، قرر العمال إعادة بعث جامعة عموم العملة التونسية.

تم الإعلان عن تأسيس هذه المنظمة يوم 14 جوان 1936⁽¹⁾، حين أعلن " علي القروي " أحد رفاق محمد علي، عن عزم العمال التونسيين على إحياء جامعتهم النقابية. وهذا خلال اجتماع نظمته بتونس مجموعة من الأحزاب احتفالاً بانتصار الجبهة الشعبية⁽²⁾، كما وضح هذا المشروع في استجواب له صدر في جريدة " le Petit Matin " يوم 17 جوان 1936⁽³⁾. ثم غابت المعلومات عدة أشهر، إلى أن عقد المؤتمر التأسيسي للجامعة في 27 أبريل 1937⁽⁴⁾.

أما فيما يخص المنخرطين فقد ضمت الجامعة الثانية عمالا من المناجم وآخرون من قطاع الفلاحة وتجارا، بالإضافة إلى الكرارطية وعمال من الرصيف ومن الأوساط العمالية الأخرى⁽⁵⁾. أما على مستوى التوزيع الجغرافي فنلاحظ أن هذه المنظمة وُجِدَتْ خاصة في تونس وبنزرت⁽⁶⁾، كما دخلت المناطق الزراعية مثل سوق الأربعاء وسوق الخميس ... وغيرها ، كما أنها لم تستطع أن تستوعب عددا كبيرا من العمال في مدينة صفاقص⁽⁷⁾. حيث تمكنت الكونفيدرالية العامة للشغل من استقطاب عدد لا بأس به من مناضلي جامعة محمد علي الحامي، ولقد أسندت المنظمة النقابية الفرنسية مراكز قيادية إلى البعض التونسيون.

(1) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 131.

(2) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 81.

(3) عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) نور الدين حشاد، المرجع نفسه، ص: 83.

(5) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 76.

(6) المرجع نفسه ، ص: 77.

(7) المرجع نفسه ، ص: 76.

المطلب الرابع: حل جامعة عموم العملة التونسيين الثانية.

لم تتمكن الجامعة النقابية الثانية من الاستمرار طويلا رغم انضمام 45 نقابة عمالية تونسية إليها⁽¹⁾، كان ذلك بسبب وجود تناقضات بين عناصرها. وكذلك اتهمت المنظمة الفرنسية الجامعة التونسية بممارسة السياسة لصالح الحزب الحر الدستوري الجديد⁽²⁾، أيضا تخلي الحزب الشيوعي الفرنسي عن دعم جامعة عموم عملة تونس الفتية⁽³⁾.

من بين الأسباب كذلك التي أدت إلى فشل الجامعة النقابية الثانية هي علاقتها بالحزب الحر الدستوري التونسي الجديد⁽⁴⁾ الذي ساعدها في مرحلة التأسيس، لكن سرعان ما تدهورت هذه العلاقة عندما امتنع " بالقاسم القناوي " * عن المشاركة في الإضراب العام الذي قرره الحزب ليوم 20 نوفمبر 1937⁽⁵⁾ احتجاجا على القمع الاستعماري في الجزائر والمغرب الأقصى. وهكذا لم يتمكن التونسيون مجددا من المحافظة على جامعة عموم العملة التونسية، التي اندثرت قبل أن تثبت وجودها من خلال نشاطها النقابي في البلاد عند اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وانتهى الأمر بالسلطات الاستعمارية التي قامت في 3 شباط 1938⁽⁶⁾ إلى حل جميع النقابات المكونة لجامعة عموم عملة تونس، كما قامت بمنع عقد الاجتماعات. وانتهت هذه الجامعة بانضمامها في صيف 1938⁽⁷⁾ إلى (C.G.T).

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 78.

(2) المرجع نفسه، ص: 76.

(3) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 131.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* بالقاسم لقناوي: هو من بلدة المطوية في الجنوب التونسي، عضو في الحزب الدستوري التونسي الجديد، كما تزعم جامعة عموم العملة التونسيون في تجربتها الثانية سنة 1937. أنظر/ أحمد مالكي، المرجع السابق، ص: 360. أيضا سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص 84.

(7) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وفي الأخير نستنتج أنه من خلال التجربة الأولى للعمل النقابي في تونس، تمكن العمال التونسيين بصفة خاصة والشعب بصفة عامة من اكتساب خبرة وتكوين أفكار عن العمل النقابي وطريقة عمله وتسييره وأيضاً الهدف الذي قامت من أجله الحركة النقابية في تونس، وسعيها من أجل اكتساب حق ممارسة العمل النقابي وإنشاء منظمات نقابية يطالب من خلالها العمال التونسيون بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، كما وجد العمال التونسيون القائد الذي يسير عملهم، وأيضاً يرددون هتافاته ويساندون كل مطالبه، و المتمثل في محمد علي الذي آمن بفكرة الاستقلالية في العمل النقابي، وضرورة إنشاء تعاونيات تعاضديه، يعمل من خلالها على إصلاح أوضاع التونسيين وتحسينها.

على الرغم من فشل الحركة النقابية الأولى والثانية، إلا أنه كانت لها نتائج إيجابية وأثر كبير في نفوس الشعب التونسي. واستطاعت أن تزرع أركان الأنظمة الاستعمارية، التي كان يُعتقد أنها ثابتة القواعد والأسس، وتهديد الاستعمار وأجهزته الاقتصادية المبنية على الاستغلال. كما تمكن العمال التونسيون من إرغام فرنسا على الاعتراف بالحق النقابي للتونسيين، وكشف حقيقة الحزب الاشتراكي والكونفيدرالية العامة للشغل اللذان كانا يعتبران أن العمال التونسيون مجرد وسيلة لتحقيق مصالحهم، واستغلال قدراتهم المهنية.

زيادة على ذلك فقد أخذ العمال من التجربة الأولى والثانية الخبرة في كيفية تسيير العمل النقابي، وهذا ما سيساعدهم في المرحلة الثالثة للحركة النقابية التي أعاد تنظيمها الزعيم النقابي فرحات حشاد، واعتبرها الوريث الشرعي للحركة التي بدأها أب الحركة النقابية محمد علي كما اعتبرها العمال التونسيين بمثابة اللبنة الأولى لبداية حركتهم الفعلية وبداية عهد جديد، ستشهد من خلاله الحركة النقابية جملة من التطورات التي تعتبر أحداث مفصلية في مسار الكفاح الوطني التونسي ضد الاستعمار.

الفصل الثاني:

فرحات حشاد والاتحاد العام التونسي للشغل

المبحث الأول: فرحات حشاد حياته وآثاره

المبحث الثاني: سياسة فرحات حشاد في الإتحاد العام التونسي للشغل (1946-1952)

بعد كل ما مرَّ على الحركة النقابية التونسية من ظلم واستبداد من طرف السلطات الاستعمارية أثناء تجربتها الأولى والثانية؛ حيث حاول محمد علي منذ سنة 1924 وبعده بالقاسم القناوي سنة 1936 على مقاومة الاستعمار الفرنسي وسلطاته ومنظماته الجائرة، التي كانت تسعى لمحاربة هذه المنظمة الفتية والحديثة النشأة، فسعوا لنشر أفكارهم الوحدوية التي تدعو للتضامن والتعاون من أجل النهوض بالوضع الاقتصادي والاجتماعي المزري الذي يعيشه العمال التونسيين والذي فرضه عليهم المستعمر الفرنسي من خلال أساليبه القمعية التسلطية لتحقيق مصالحه ومصالح المستوطنين الأوروبيين في تونس، وأيضا دعوا لتحقيق مشروع الوحدة القومية بين الشعوب العربية الإسلامية، هذا المشروع الذي لطالما كان حلم كل فرد عربي مسلم.

استطاعت السلطات الفرنسية أن تفكك هذه الحركة النقابية، وتقضي على أحلام قائدها محمد علي وتوقف مشروعه، لكن لم تتمكن من القضاء على أفكار محمد علي التي انتشرت ورُسّخت في ذهن كل عامل تونسي يسعى لتحسين وضعه والحصول على حقوقه التي فقدها منذ وصول المستعمر أرض بلاده، فكانت أفكار محمد علي بمثابة المشعل الذي أضاء وأثار طريق كل العمال التونسيين، وكان على رأس هؤلاء شخصية تونسية بسيطة متأثرة بكل خطاب وكل كلمة كان يقولها وينطقها محمد علي الحامي، وكل خطاب ينطق من خلاله كلمة الحرية والاستقلال للبلاد التونسية، وهي شخصية فرحات حشاد الذي اعتبر نفسه الوريث الشرعي لتسيير حركة محمد علي وعهد على نفسه أن يكمل المشوار الذي بدأه محمد علي ويحقق من خلاله كل ما كان يطمح له ويسعى لتحقيقه للعمال التونسيين الذي كان يعتبرهم ضحية سياسة استعمارية يمثل الاستغلال عندها الوسيلة والهدف الأول للسيطرة على كل ما تملكه البلاد المستعمرة من خيرات سواء مادية كانت أو بشرية .

فكان فرحات حشاد أول من حمل لواء المبادرة، وقرر إعادة أمجاد الحركة النقابية التونسية وتزيينها بطابع التنظيم والتسيير المحكم حتى تكون خير منافس للمنظمات النقابية الفرنسية.

المبحث الأول: فرحات حشاد حياته وآثاره.

يعتبر فرحات حشاد من الشخصيات المهمة والبارزة، التي كان لها دور كبير في صناعة تاريخ تونس وتسجيل أحداثه. حيث أنه في مقالة للكاتبة العراقية "إنعام كججي" تحت عنوان "جاري شهيد من تونس" تتساءل فيه عن سبب جهل الشباب العربي بهذا المناضل الكبير الذي لا يقل دوره عن دور الحبيب بورقيبة الذي انتزع الاستقلال لبلده، وصار أول رئيس جمهورية لبلاده⁽¹⁾.

لهذا ومن خلال هذا المبحث حاولنا أن نسلط الضوء على الجانب الذي يجهله العديد من الناس حول حياة فرحات حشاد، ونتعرف أكثر عن تفاصيل حياته التي تعد مهمة جدا، والتي قادته إلى أن يصبح زعيم العمل النقابي في تونس ويدفع ببلاده نحو الاستقلال. حيث نستهل أول نقطة من هذا المبحث في الحديث عن فرحات حشاد نشأته وتكوينه، وذلك من خلال التعرف أكثر عن أهم المراحل التي مر بها فرحات حشاد منذ طفولته إلى غاية وصوله لممارسة العمل النقابي، وأيضا نريد أن نتعرف على المستوى التعليمي الذي وصل إليه وما إن كان تحصل على شهادات أثناء مساره الدراسي، كما سنتعرف أيضا في نقطة ثانية عن نشاطه النقابي، أي كيف كانت بدايات هذا النشاط؟ وما هي المراحل التي مر بها والمناصب التي تقلدها إلى أن وصل إلى رئيس الاتحاد العام التونسي، مع العلم أن هناك العديد من المؤهلات التي كان يتمتع بها فرحات حشاد وكانت تميزه عن غيره من الشخصيات النضالية الأخرى، سواء على المستوى النقابي أو على المستوى السياسي والوطني. أما فيما يخص النقطة الثالثة فسننظر من خلالها إلى أهم الصفات التي يتميز بها فرحات حشاد والمتجذرة في شخصيته من خلال التعرف على مجموعة من الآراء حوله وحول شخصيته النقابية والسياسية الوطنية.

(1) سجا العبدلي: فرحات حشاد زعيم العمل النقابي في تونس، جريدة المجلة، [د-ع]، نشر بتاريخ: 01-04-2014، على الخط المباشر [<http://art.majalla.com>].

المطلب الأول: نشأته وتكوينه.

ولد الزعيم النقابي فرحات حشاد في 2 فبراير 1914⁽¹⁾، بمدينة " صفاقص " وبالتحديد في جزيرة " قرقنة "⁽²⁾، ومن قرية صغيرة من حيث التعداد السكاني، وتحديدا من دوار قريب منها يسمى دوار " البرابشة "⁽³⁾. كبر فرحات حشاد وسط عائلة كبيرة العدد مكونة من 16 أخا وأختا⁽⁴⁾ عاش ظروف الفقر الذي كانت تعاني منه أسرته، كما عانى متاعب الحياة اليومية. كان أبوه بحارا يعمل في مجال الصيد⁽⁵⁾، وهو بهذا العمل بالكاد يوفر قوت أولاده ليوم واحد، أما والدته فبسبب متاعب الإنجاب توفيت قبل أن تتجاوز سن الخمسين من العمر⁽⁶⁾.

دخل فرحات حشاد رغم ظروفه المعيشية الصعبة وبإصرار من والده الذي كان يأمل أن يكون ابنه من أوائل حاملي الشهادة في المنطقة، المدرسة الفرنسية العربية، وهو في سن السادسة من عمره⁽⁷⁾، تحصل على الشهادة الابتدائية سنة 1929 بملاحظة " حسن "، واستطاع أن يحقق حلم والده وأصبح من فئة أبناء " قرقنة " حاملي الشهادة، والذين أصبح لديهم المؤهل العلمي الذي يتيح لهم فرصة الانفلات من القُرعة ويعفيهم من أداء الخدمة العسكرية⁽⁸⁾.

(1) محمد بالطيب: الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد: و قد عرفنا القاتل فمن هو القاتل؟، جريدة تونس، [د-ع]، نشر بتاريخ: 01-05-2014، على الخط المباشر: [<http://afrigatenews.net>].

(2) الحبيب الذواوي: في ذكرى اغتيال فرحات حشاد " شهيد الحرية "، جريدة الشعب، [د-ع]، نشر بتاريخ: 13-12-2008، على الخط المباشر: [<http://www.echaab.info.tn>].

(3) خالد عبيد: فرحات حشاد الشهيد الرمز: شهيد الشعب والقضية، مجلة حقائق، ع: 51، 2007، ص: 02.

(4) حسونة المصباحي: أصحاب الأرواح الكبيرة أحبوا الشعب فأحبهم، مجلة العرب، [د-ع]، نشر بتاريخ 17-11-2013، على الخط المباشر: [<http://www.alarab.co.uk>].

(5) خالد عبيد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) حسونة المصباحي، المرجع نفسه.

(7) رضا المشرقي: في ذكرى استشهاده الـ63 لم ينسى الشعب التونسي فرحات حشاد، الحوار نت، [د-ع]، نشر بتاريخ: 09-12-2015، على الخط المباشر [<http://www.alhiwar.net>].

(8) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص 81.

وبسبب الأوضاع المعيشية المزرية وضيق اليد اضطر فرحات حشاد إلى الانقطاع عن مقاعد الدراسة، والبحث عن مورد رزق يساعد من خلاله والده⁽¹⁾، وبهذا لم يستطع فرحات حشاد إكمال مشواره الدراسي، ولم يتمكن من المواصلة للمرحلة الثانوية والدراسة العليا، لكنه لم يتوقف عند هذا بل سعى إلى تثقيف نفسه وتكوين شخصيته القوية وآرائه المستقلة من خلال القراءة المستمرة والمطالعة والبحث.

اضطر فرحات حشاد في هذه الفترة للانتقال إلى مدينة سوسة، أين يسكن أحواله وخالاته الأربعة الذين انتقلوا منذ زمن إلى سوسة⁽²⁾، حيث بعثت به والدته إلى أحد إخوتها في سوسة وهو "حسن بن رمضان" وفي تلك الفترة لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره. وبعد فترة من البحث عن العمل، تمكن فرحات حشاد سنة 1930⁽³⁾ من العثور على عمل كموظف بسيط، وهو عبارة عن عون مكتبي في الشركة التونسية للنقل الساحلي (STAAS)⁽⁴⁾ وهي شركة فرنسية خاصة. وبداية من هذه الخطوة التي تعتبر التجربة الأولى لفرحات حشاد في وسط مغاير غير الوسط الذي تربى وكبر فيه، استطاع فرحات حشاد أن يُكوّن نفسه بنفسه، وبفضل ذكائه وحنكته وسرعة البديهة لديه تعلم الضرب على الآلة الكاتبة وأسرار العمل الإداري في بضعة أشهر فارتقى إلى درجة كاتب إداري⁽⁵⁾.

خلال هذه السنوات التي عمل فيها حشاد، لم تعد أعمال المؤسسة سرا بالنسبة إليه، حيث كان مُطْلِعاً على كل شيء فيها ومُلمّ بكل خباياها وأسرارها، وبفضل إخلاصه وأمانته استطاع أن يحصل على ثقة زملائه في العمل، بهذه الطريقة ومن خلال كل الخبرة التي تحصل عليها من

(1) سجا العبدلي، المرجع السابق.

(2) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 81.

(3) سفيان الأسود: سيرة متكاملة لحياة الشهيد الرمز شهيد الشعب و القضية فرحات حشاد، جريدة الشروق، [د-ع]، نشر

بتاريخ 24-12-2009، على الخط المباشر: [<http://www.turess.com>].

(4) نور الدين حشاد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) خالد عبيد، المرجع السابق، ص: 02.

تعاملاته وعلاقاته المختلفة، تمكن فرحات حشاد من الانخراط جسيما وروحيا في العمل النقابي وذلك بانضمامه (C.G.T)⁽¹⁾ التي يَتَّبِعُهَا عمال الشركة التونسية للنقل الساحلي، والتي تكونت نقابتهم في شهر يوليو سنة 1936⁽²⁾.

في الفترة التي قدم فيها فرحات حشاد لمدينة سوسة، كانت هذه الأخيرة معقل النضال الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، وكان اسم الزعيم " الحبيب بورقيبة " يتداول على ألسنة جميع الناس⁽³⁾ حيث كان الجميع متأثرا بخطاباته التي كانت تَحُثُّ الشعب على ضرورة مقاومة الاستعمار والوقوف في وجهه إلى أن يغادر من البلاد. وكان فرحات حشاد في هذه الفترة من المتأثرين أيضا بخطابات " الحبيب بورقيبة "⁽⁴⁾، التي كانت تثير الحماسة بداخله وجعلته يُكَوِّنُ آراء واضحة تُجَاه الاستعمار الفرنسي وسياسته التي تسعى دائما إلى إبقاء الشعب التونسي تابعا غير مستقل، كما أنه ومن خلال احتكاكه بالعمال التونسيين البسطاء والتعرف على معاناتهم وعلى الوضعية الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي يعيشها ويعاني منها الشعب التونسي، آمن فرحات حشاد بفكرة و نظرية " أنه لا يمكن المناداة بتحرير العمال في وطن مستعبد "⁽⁵⁾.

وإضافة إلى تأثر فرحات حشاد بالزعيم " الحبيب بورقيبة " فإنه تأثر أيضا بالقائد الأول للحركة النقابية التونسية والباعث الأساسي لها منذ 1925 " محمد علي الحامي "⁽⁶⁾، حيث تأثر بإصراره وإيمانه بفكرته وبطريقة تنظيمه للجماهير، وقرر أن يكون وريثه في العمل النقابي كما آمن بأن الحركة النقابية حركة مستمرة وفكرة لا تموت أبدا "⁽⁷⁾. وبالتالي تعتبر الفترة التي استقر فيها الزعيم

(1) أحمد الحسيني: الوعي الطبقي و الوطني للزعيم الخالد فرحات حشاد، جريدة الشعب، [د-ع]، نشر بتاريخ: 03-12-2011، على الخط المباشر: [<http://www.turess.com>].

(2) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص 81.

(3) حسونة المصباحي، المرجع السابق.

(4) المرجع نفسه.

(5) سجا العبدلي، المرجع السابق.

(6) حسونة المصباحي، المرجع نفسه.

(7) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 195.

النقابي فرحات حشاد في مدينة " سوسة "، هي فترة التكوين وبناء الشخصية واكتساب الخبرات⁽¹⁾ فمن خلال السنوات التي قضاها في هذه المدينة، مر بالعديد من التجارب التي أثبتت له أن مقاومة الاستعمار والمطالبة بتحسين ظروف العمال إنما هو حق مفروض، وواجب على فرنسا أن تتصاع لتحقيق هذه المطالب، دون أي نوع من التفرقة العنصرية بين أبنائها وأبناء الشعب التونسي فتكونت شخصية فرحات حشاد واكتملت من جميع النواحي ليصبح مستعدا للانطلاق والمباشرة في العمل النقابي ويحمل المشعل الذي ورثه عن الزعيم الأول " محمد علي الحامي ".

المطلب الثاني: نشاطه النقابي.

بدأ أول نشاط لفرحات حشاد في العمل النقابي منذ انخراطه في الكونفيدرالية العامة للشغل (C.G.T) سنة 1936⁽²⁾، وكما ذكرنا سابقا ونتيجة للنضال النقابي المتمثل في الدفاع عن حقوق العمال والسعي إلى تحسين الظروف المعيشية الملائمة لهم، اجتذب فرحات حشاد لهذا العمل وبدأ يرى فيه السبيل الوحيد للخلاص من حياة الفقر والمعانات التي يعيشها جميع العمال، ومن هنا بدأ حشاد يترس هذا العمل ويفهم قواعده وحدوده، ويتعرف أكثر على أهم الركائز التي يقوم عليها حتى يتمكّن من تطبيقه والعمل به على أرض الواقع.

كان فرحات حشاد في هذه الفترة مثّال العامل المنخرط والناشط في نقابته الأساسية، فعلى الرغم من ظروفه العائلية والمادية الصعبة التي كان يعيشها، إلا أنها لم تمنعه من أن يواصل نشاطه النقابي ويبرع فيه ويتميز، ليصل في سن مبكرة إلى منصب الأمين العام لنقابة الشركة التونسية للنقل في الساحل التونسي (STAAS)⁽³⁾، وهذا كله من أجل الدفاع عن مطالب العمال في مؤسسته وتحقيق طموحاتهم.

(1) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 86.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بالإضافة إلى منصب الأمين العام لشركة النقل بالساحل التونسي، تقلد فرحات حشاد مسؤوليات أخرى، من بينها أمين عام مساعد في الاتحاد المحلي في الكونفيدرالية العامة للشغل في سوسة⁽¹⁾، ونتيجة لنشاطه النقابي الكبير الذي بدأت تلاحظه إدارة المؤسسة وتتخوف منه قررت معاقبته على هذا النشاط، وقامت بنقله إلى وكالة الشركة التونسية للنقل الساحلي في صفاقس كمراقب خطوط⁽²⁾. لم يكتثر حشاد لهذا التصرف بل واصل عمله بإنشاء نقابة مستقلة بالشركة التونسية للنقل الساحلي بصفاقس⁽³⁾.

يعتبر الوسط الذي نشأ فيه فرحات حشاد من بين أهم العوامل التي ساعدته طيلة فترة كفاحه وكان بمثابة الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها، حتى يتمكن من مواصلة نشاطه النقابي ويبرع فيه فكانت جميع مراحل حياته سواء في قريته قرقنة أو في سوسة أو حياته في مدينة صفاقس، كلها تشتمل وتشترك في وسط واحد وهو المقاومة والمواجهة وتحدي الظروف⁽⁴⁾، كما أنه نشأ في وسط عمالي نشط لا يعتبر العمل النقابي فيه أمرا مجهولا ولا ممارسته أمرا غريبا. لذلك نجد أن جل الشواهد التي قيلت في حق فرحات حشاد تتفق على أنه أصبح ذلك النقابي التونسي الذي يحظى بثقة " ألبير بوزنكي "، كما اكتشف هذا الأخير إمكانيته ومدى تأثيره في صفاقس.

ومن بين المسؤوليات المهمة التي عمل بها فرحات حشاد، والتي تعتبر صاحبة الفضل في تكوين فكره النقابي، نجد أنه عمل في الاتحاد الولائي الذي كان تارعا للكونفيدرالية العامة للشغل

(1) أحمد الحسيني، المرجع السابق.

(2) سفيان الأسود، المرجع السابق.

(3) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 86.

(4) فاطمة اللواتي: فرحات حشاد: نضال وطني وكفاح نقابي، جريدة تونس، [د-ع]، نشر بتاريخ 05-12-2012، على الخط المباشر: [<http://www.turess.com>].

* ألبير بوزنكي: هو أحد المناضلين والمسيرين في الكونفيدرالية العامة للشغل بتونس، وكان الأمير المساعد مع دوريل سنة 1934 وقد تعرضا معا للقمع الذي سلط على تونس في شهر سبتمبر 1934، وتم نفيهما إلى فرنسا، كما كان مناضلا اشتراكيا مقربا من جوهو، اشتهر في أوساط التونسيين ونال تقديرهم بما كان يعقده في الايالة من مهرجانات واجتماعات وما يقوم به من رحلات في ربوعها. أنظر/ نور الدين حشاد، المرجع نفسه، ص: 83.

كسكرتير خلال سنة 1940 بالعاصمة⁽¹⁾، وقام من خلاله بتنشيط بعض الاتحاديات واتحادات الشركات.

تعتبر الفترة التي نشط فيها فرحات حشاد ضمن العمل النقابي، بمثابة فترة تكوين غنية بالنسبة له، استفاد منها عن طريق الاحتكاك بقيادة النقابيين وخاصة ألبير بوزنكي، الذي تأثر به من خلال معاشرته له. كما استفاد من التجربة الأولى والثانية للحركة النقابية، تأثر بفكر وأسلوب محمد علي الحامي من خلال نشاطه النقابي والقومي⁽²⁾، بالإضافة إلى ذلك فقد سمحت له فرصة إقامته في تونس العاصمة بمعرفة نقابيين من الشمال والاحتكاك بهم وتنمية خبراته⁽³⁾، وأهم شيء نجده يطغى على شخصية فرحات حشاد هي روح العزيمة والإصرار، حيث لم تقف الظروف الصعبة التي كان يعيشها كغيره من التونسيين في وجه طموحاته، بل زادت إصرارا وعزيمة.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أصبحت تونس تحت التأثير المباشر للسياسة الداخلية الفرنسية وللسياسة العالمية⁽⁴⁾، كما أعطت الحرب الأولوية للمعركة السياسية داخل الحركة النقابية التي سيطر عليها الشيوعيون*، حيث لعب المناضلون الشيوعيون بتونس دورا بالغ الأهمية في مقاومة دول المحور التي سيطرت على البلاد التونسية بين نوفمبر 1942 وماي 1943⁽⁵⁾. وهذا ما دعم تأثيرهم على الحركة النقابية في تونس.

(1) خالد عبيد، المرجع السابق، 03.

(2) ماجد البرهومي: الاتحاد العام التونسي للشغل الرقم الصعب في المعادلة التونسية، كلمة تونس، [د-ع]، نشر بتاريخ: 07-10-2012، على الخط المباشر: [http://elaph.com].

(3) سفيان الأسود، المرجع السابق.

(4) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 88.

* فاز الحزب الشيوعي الفرنسي المدعوم بالكفاح الذي خاضته المقاومة الفرنسية في الانتخابات الأولى التي جرت في شهر أكتوبر من سنة 1945، ونال الصدارة بإحرازه أغلبية الأصوات، كما شاركوا في الائتلاف الحكومي، وزاد نفوذهم، وانحازت سياستهم في المستعمرات إلى النظريات الرسمية الفرنسية المتمثلة في المحافظة على الاستعمار والقضاء على مخلفات الفاشية كما كان له نفوذ كبير داخل الكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية، وهذا ما لوحظ في انتخابات الاتحاد الولائي التابعة لها. أنظر/ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 132.

كرس مؤتمر الاتحاد الولائي الذي انعقد يومي 18 و 19 مارس 1944⁽¹⁾ هيمنة الحزب الشيوعي التونسي على المنظمة النقابية، فوقع انتخاب 17 مناضلا شيوعيا في الهيئة الإدارية التي تضم في الأصل 21 عضوا⁽²⁾. وأمام هذه الوضعية التي حيرت العامل التونسي، وحالت دون فهمه للواقع الذي يعيش فيه ولأي جهة يجب عليه أن ينضم ويساند، خاصة وأن الكونفيدرالية العامة للشغل والحزب الشيوعي التونسي أصبحا مثل الحزب الشيوعي الفرنسي ومن الناطقين باسم السياسة السوفييتية في تونس. ومن هنا أصبح التونسي والعامل على وجه الخصوص، يقرأ من خلال الصحف المختلفة والخطب والمناشير أفكار تهدف إلى ضرورة تجنيده لخدمة الوطن الشيوعي الكبير⁽³⁾.

كان فرحات حشاد في ظل هذه الظروف من المعارضين وبشدة السياسة التي يتبناها الحزب الشيوعي، ومن الرافضين أيضا للقرارات التي جاء بها مؤتمر الاتحاد الولائي⁽⁴⁾، الذي كانت مجمل قراراته تدعو الشعب والعمال التونسيين إلى وجوب إحلال الكفاح الوطني المقام الثاني من اهتماماتهم، كما أن المؤتمر لم يناقش ولا بأي طريقة مطالب العمال ولا الأوضاع الاجتماعية، من هنا وعلى هذا الأساس حدثت القطيعة بينه وبين الكونفيدرالية العامة للشغل⁽⁵⁾.

لم تكن هذه الأسباب فقط التي دفعت بفرحات حشاد ومجموعة من رفاقه للانفصال عن الكونفيدرالية العامة للشغل، فقد لاحظ فرحات حشاد التمييز الكبير الذي كان يمارس بين العمال التونسيين والعمال الأوروبيين سواء كان هذا التمييز في نوعية العمل أو في عدد الساعات

(1) أحمد الكحلوي: المضامين العروبية الإسلامية في الحركة النقابية التونسية المستقلة ونضال الشيخ الفاضل بن عاشور،

الشعب، [د-ع]، نشر بتاريخ 21-12-2013، على الخط المباشر: [<http://www.echaab.info.tn>]، ص: 12.

(2) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 132.

(3) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 89.

(4) عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

المفروضة للعمل وأيضا في الأجور⁽¹⁾، حيث كانت الأفضلية دائما للأوربي حتى وإن كانت الكفاءة تتوفر عند العامل التونسي، كما عان فرحات حشاد نفسه من هذا التمييز.

من هنا بادر حشاد ومجموعة من رفاقه في إعادة بعث الحركة العمالية للمرة الثالثة، فبدؤوا بتأسيس نقابة مستقلة في صفاقص بين عمال السكك الحديدية التونسيين في شركة " صفاقص قفصة " جانفي 1943⁽²⁾، مع مناضل الكونفيدرالية العامة للشغل " مسعود علي سعد " ⁽³⁾، وفي نفس الوقت كان فرحات حشاد يحث المناضلين النقابيين الذين لا يزال الكثير منهم يناضلون في نقاباتهم التابعة للكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية، على إنشاء منظمة نقابية تونسية مستقلة⁽⁴⁾، وبالفعل وبعد سبعة أشهر تمكن حشاد من تحقيق مشروعه، حيث كوّن مكتب مؤقت في 19 نوفمبر 1944⁽⁵⁾، وعُيّن أميناً عاماً، ومسعود علي سعد أميناً عاماً مساعداً، ومن هنا كانت هذه الخطوة الناجحة بمثابة الانطلاقة الأولى لبداية التجربة الثالثة للعمل النقابي التونسي.

برزت هذه الحركة النقابية المستقلة الجديدة تحت اسم " اتحاد النقابات المستقلة لعمال الجنوب التونسي " ⁽⁶⁾، وقد حرص فرحات حشاد أن يكون اسم نقابتهم يختلف عن اسم الكونفيدرالية العامة الفرنسية للشغل⁽⁷⁾، لكي لا تكون هناك أي دلالة في الاسم ترمز للمنظمة السابقة (C.G.T) وذلك لتكون الاستقلالية حتى في الاسم، كما أن فرحات حشاد اختار مقر المنظمة في صفاقص⁽⁸⁾،

(1) فاطمة اللواتي، المرجع السابق.

(2) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 92.

(3) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 132.

(4) المرجع نفسه، ص: 133.

(5) نور الدين حشاد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) محمد بالطيب، المرجع السابق.

(7) نور الدين حشاد، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

حتى تكون بعيدة عن أي قمع استعماري، وأيضا اتبع حشاد سياسة خاصة تعتمد على عامل الوقت⁽¹⁾، وذلك أن بداية العمل كانت تدريجيا حتى لا يلفت أنظار السلطات الاستعمارية إليها.

كانت لهذه السياسة المحنكة التي اتبعتها فرحات حشاد في بداية نشاطه النقابي المستقل، أثر كبير في توسيع نطاق عمل هذه المنظمة. حيث امتدت بعد المنطقة الخامسة في صفاقص إلى المنطقة السادسة في قابس، ثم إلى تونس العاصمة مع " اتحاد النقابات المستقلة للعمال التونسيون في الشمال " التي أسسها فرحات حشاد في ماي 1945⁽²⁾، وبانخراط " الاتحادية العامة للموظفين في تونس والانضمام ضمن صفوفها⁽³⁾.

يعود النجاح الكبير الذي وصلت إليه الحركة النقابية التونسية في هذه الفترة، إلى المجهودات الجبارة التي قام بها الزعيم النقابي فرحات حشاد. والذي تمكن من توحيد نقابات الشمال والجنوب وأسس الاتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946⁽⁴⁾، دون أن يكون تلقى أي معلومات من أي حزب أو من أي جهة سياسية⁽⁵⁾، وهذا ما جلب لفرحات حشاد الاحترام من طرف كل من عاشروه من مناضلين وقادة وطنيين، حيث يعتبر فرحات حشاد وزملائه النقابيين من خريجي مدرسة الكونفيدرالية العامة للشغل⁽⁶⁾، التي اكتسب من خلال انخراطه فيها منذ 1936، الخبرة والتجربة التي استعد من خلالها لبداية عهد جديد، تكون فيه نقابة التونسيين في الصدارة، بعد كل ما عانوه من تفرقة وظلم في بلادهم.

(1) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 93.

(2) المنصف عويساوي: فرحات حشاد ... الرمز ... النضال و العطاء، جريدة الصحافة، [د-ع]، نشر بتاريخ 18-02-2016، على الخط المباشر: [<http://www.esshafa.info.tn>].

(3) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 134.

(4) صابر عباس: أحبك يا شعب : الاتحاد العام التونسي للشغل، جريدة مذكرات الحرية، ع: 03، 2012.

(5) نور الدين حشاد، المرجع نفسه، ص: 95.

(6) عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، ص: 133.

المطلب الثالث: آراء حول فرحات حشاد.

يعتبر فرحات حشاد من بين أهم الرموز والشخصيات التاريخية، التي كُتِبَ تاريخ تونس بدمائها، وحاربت بكل ما لها من قوة من أجل أن يحصل هذا الوطن على استقلاله، ويعيش شعبه الحرية التي حُرِمَ منها منذ وطأة أقدام الاستعمار الفرنسي أرض هذا الوطن. لذلك ومن أجل تحقيق هذا الهدف السامي، قاد فرحات حشاد العمل النقابي وسعى إلى حشد العمال ودعوتهم للانضمام إلى تأسيس منظمة نقابية تونسية مستقلة، يحقق من خلالها مطالب العمال الاجتماعية والاقتصادية، لتتحول فيما بعد مع الاتحاد العام التونسي للشغل إلى مطالب سياسية يسعى من خلالها لتحقيق الاستقلال التام لتونس رافعا شعار " لا للاستسلام فإما الانتصار أو الموت " ⁽¹⁾.

فكما لقب الحبيب بورقيبة بزعيم الحركة الوطنية التونسية، لقب فرحات حشاد بزعيم العمل النقابي وقائد الطبقة النقابية والشَّغيلة في تونس، كما اعتبر الرمز الأول للنضال والمقاومة، هذا بشهادة كل من عرفوه وعاصروه وشاركوا معه فترة نضاله.

حيث ذكر نجله " نور الدين حشاد " في حوار نشر في جريدة الصحافة ⁽²⁾، تحدث فيه عن فرحات حشاد الإنسان، وعن أخلاقه العالية والخصال الحميدة التي كان يتمتع بها، وعن ترفعه عن الأمور السطحية، وتعاليه عن ذكر أي شخص بسوء، حيث قال: " أنه اصطحب بورقيبة معه إلى مؤتمر النقابات بأمريكا حيث مكثا معا لمدة شهر في نفس النزل وذلك في سبتمبر 1951 لكنه لم يتحدث يوما عما دار بينهما من حديث أو عن بورقيبة نفسه " ⁽³⁾.

⁽¹⁾ فاطمة السويح: أحبك يا شعب... صرخة حشاد التي بلغت المدى، جريدة الصحافة، [د-ع]، نشر بتاريخ: 18-02-2016،

على الخط المباشر: [<http://www.esshafa.info.tn>].

⁽²⁾ المرجع نفسه.

⁽³⁾ المرجع نفسه.

ومن بين الشهادات التي قيلت مدحا في شخصية فرحات حشاد، نذكر شهادة " الطيب البكوش " الأمين السابق للاتحاد العام التونسي للشغل الذي كان في تلك الفترة برئاسة "الحبيب عاشور*" حيث قال: " الشهيد فرحات حشاد من أهم رموز الحركة النقابية والوطنية، فهو لم يكن زعيم الحركة النقابية فقط وإنما كان كذلك من أهم زعماء الحركة الوطنية والمقاومة ضد الاستعمار"⁽¹⁾. وهنا كان يتحدث عن بداية الخمسينات وخاصة سنة 1952⁽²⁾، حينما اعتقلت السلطات الفرنسية زعماء الحركة الوطنية ومن بينهم بورقيبة، فتولى فرحات حشاد في هذه الفترة قيادة الحركة الوطنية ضد الاستعمار⁽³⁾. يضيف " الطيب البكوش " أن فرحات حشاد بتوليته قيادة الحركة الوطنية باعتباره رجل نقابي وليس سياسي، قد أعطى الحركة الوطنية التونسية طابعا مميزا لا نجده في البلاد العربية ولا الإفريقية⁽⁴⁾، وذلك لأنه أصبح للحركة بعدين متكاملين الأول يمثل البعد السياسي عن طريق الحزب الدستوري، والثاني يمثل الحراك الاجتماعي عن طريق الاتحاد العام التونسي للشغل .

استطاع فرحات حشاد من خلال مبادئه الراسخة ومواقفه الواضحة، التي لا يغيرها الزمان ولا الظروف، أن يكسب محبة كل من عاصروه، وكل من سمع عن نضاله ونشاطه، ومن بين من شارك فرحات حشاد جميع مراحل نشاطه وعمله النضالي في المجال النقابي، نجد المناضل

* الحبيب عاشور: ساهم في تأسيس النقابات المستقلة بالجنوب، وشارك حشاد في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، تم اعتقاله في أحداث 05 أوت 1947 بصفاقص وحكم عليه بـ5 سنوات سجن و10 سنوات حجر إقامة أطلق سراحه في 1954. أنظر/ محمد المناعي: الحركة النقابية وتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، شبكة الشباب النقابي العربي، نشر بتاريخ: 27-11-2015، على الخط المباشر: [<http://manai.over-blog.com>].

(1) المنصف عويساوي، المرجع السابق.

(2) الطاهر المعز: الحركة النقابية في تونس بين إرادة الاستقلال ومحاولات الاحتواء، الحوار المتمدن، ع: 1753، 2006، ص:

14.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المنصف عويساوي، المرجع نفسه.

والنقابي "أحمد بن صالح" * الذي تولى أمانة الاتحاد بعد اغتيال فرحات حشاد في ديسمبر 1952⁽¹⁾، حيث تحدث النقابي أحمد بن صالح في حوار قام به في جريدة الشروق⁽²⁾، وصف من خلاله فرحات حشاد، جاء في مضمونه أن فرحات حشاد كان يمتاز بالهدوء، وكانت كل تصرفاته تدل على مدى وعيه وقدرته على استيعاب أي وضع سيء ممكن أن يتعرض له، كما قال أنه كان رجلا ديمقراطيا⁽³⁾، وقد استدل كلامه بموقف حصل معهم خلال حضورهم المؤتمر الرابع للاتحاد العام التونسي للشغل، الذي عقد سنة 1951⁽⁴⁾، حيث حدث خلاف كبير داخل قاعة المؤتمر وصل إلى حد التشابك وكان محور الخلاف حول انضمام الاتحاد إلى المنظمة العالمية للانتخابات الحرة (C.S.L) **، حيث انقسمت فيه الأصوات بين مؤيد ومعارض للانضمام، يقول أحمد بن صالح: " هنا وقف فرحات حشاد وكان رجلا عظيما، فقد تكلم بصوت هادئ وقال هذه مسألة مصيرية بالنسبة للاتحاد، ولهذا أنا أطلب التصويت السري، وبعدها عم الهدوء المكان، لقد كان قرار التصويت السري درسا ديمقراطيا رائعا"⁽⁵⁾.

* أحمد بن صالح: ولد عام 1926، درس في المعهد الصادقي وأكمل دراسته الجامعية في باريس عام 1945، وأصبح أمينا عاما لشعبة الحزب الدستوري الجديد، نفي إلى مدينة (بو) الفرنسية، وفي عام 1948 عاد إلى تونس وواصل نضاله في الحزب الدستوري والاتحاد العام التونسي للشغل، تولى الأمانة العامة في 1954، ثم انتخب نائبا لرئيس الجمعية التأسيسية بعد الاستقلال عام 1956، في سنة 1957 أصبح وزيرا للصحة والأشغال العمومية. أنظر/ أحمد بن صالح: تونس التنمية والمجتمع، حوار مارك نرفان، دار الكلمة للنشر، تونس، 1980، ص: 39-40.

⁽¹⁾ مسيرة للاتحاد العام التونسي للشغل في الذكرى الـ 62 لاغتيال مؤسسه، جريدة القدس، ع: 7608، السنة 25، 05-12-2013، ص 03.

⁽²⁾ فاطمة بن عبد الله الكزاي: أحمد بن صالح في مذكرات سياسي، جريدة الشروق، [د-ع]، نشر بتاريخ 02-04-2010، على الخط المباشر: [<http://gajeune.ahlamontada.com>]، ص: 20.

⁽³⁾ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁽⁴⁾ محمد المناعي: من تاريخ اليسار التونسي، مركز التجديد العربي للدراسات والأبحاث، نشر بتاريخ: 12-07-2012، على الخط المباشر: [<http://www.tunipresse.com>].

** هي النقابات التي أنشأها المعسكر الأمريكي في عام 1951، لمقاومة الاتحاد النقابي العالمي الذي كان يسيطر عليه الماركسيون، أيام الحرب الباردة بين المعسكر الغربي والشرقي. أنظر/ سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 92.

⁽⁵⁾ فاطمة بن عبد الله الكزاي، المرجع نفسه، ص: 22.

نضيف أيضا إلى هذه الشهادات، شهادة مهمة لشخصية عاصرت فرحات حشاد وتعرفت عليه وتعتبر هذه الشهادة من أهم الشهادات التي قيلت في حق فرحات حشاد ومدحت في شخصيته واعتبرته رمز من رموز العالم الذين طبعت انجازاتهم في عقول الأجيال التي جاءت بعدهم ، وهي للمفكر والمجاهد " عبد الحميد مهري " *، والتي وصف من خلالها شخصية فرحات حشاد وما يميزه عن غيره من رموز الدولة، كتبها وهو متأثر بعد مرور أسبوع واحد على اغتياله⁽¹⁾. حيث ذكر شهادته من خلال المقال الذي نشر في جريدة المنار وجاء بعنوان "فرحات حشاد المناضل"⁽²⁾، ذكر من خلاله الأخلاق العالية التي كان يتميز بها فرحات حشاد، كما يسأل من سيخلف حشاد في قيادة الاتحاد حيث قال: " لقد حدا بي التفكير إلى التساؤل عن من يستطيع أن يخلف فرحات حشاد، ذلك المناضل البسيط المتواضع الذي لا يلفت أنظار الناس إليه بمنظره، وإنما يلفت أنظارهم بأعماله التي تطير أنباؤها إلى مختلف أطراف البلاد التونسية، وتتجاوز أحيانا حدود البلاد التونسية لتصل إلى أطراف العالم. هذا المناضل البسيط لا يمكن أن يخلفه أحد بعينه "⁽³⁾. كما أضاف عبد الحميد مهري في مدحه لفرحات حشاد قائلا: " ... إن شخصيته الفذة وأفكاره النيرة وأعماله العظيمة طبعت جيلا كاملا من الشغاليين التونسيين وتركت خطة واضحة المعالم لرفاقه المقربين ومساعديه الأوفياء، فهذه النخبة المختارة من مساعديه وهذا الجيل الذي طبعه فرحات حشاد، بطابعه الخاص هو الذي يخلف فرحات حشاد ويضطلع بإتمام

* عبد الحميد مهري: ولد يوم 03 أبريل 1926، سياسي ومثقف جزائري، انخرط في صفوف حزب الشعب، ثم انتقل إلى تونس لمواصلة دراسته وفيها تمكن من إنشاء حركة طلابية تابعة لحزب الشعب سنة 1947، أعتقل بعد اندلاع الثورة وأطلق سراحه سنة 1955، كان عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، وعضو بالمجلس الوطني للثورة، تولى عدة مناصب سياسية أثناء الثورة وبعد الاستقلال . أنظر / محمد سريج: البعد العربي و الإفريقي للدبلوماسية المغاربية تجاه الثورة الجزائرية من خلال جريدة الصباح، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، الشلف، ع: 14، جوان 2015، ص: 68-69.

⁽¹⁾ محمد سيف الإسلام بوفلاحة: فرحات حشاد في مرآة المفكر المجاهد عبد الحميد مهري، السلام اليوم، ع: 25904، 2013، ص: 22.

⁽²⁾ عبد الحميد مهري: فرحات حشاد المناضل، جريدة المنار، ع: 13، السنة الثانية، 12 ديسمبر 1952، ص: 10.

⁽³⁾ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

رسالته في البلاد التونسية⁽¹⁾. هذا دليل على مدى المجهودات الجبارة التي قام بها فرحات حشاد طيلة مرحلة كفاحه ضد الاستعمار، في إعلاء شأن العامل التونسي وتحسين أوضاعه، وفي محاولة تكوين منظمة نقابية قانونية تُمكنه من تحقيق مطالبه⁽²⁾.

كما أبدى المفكر عبد الحميد مهري إعجابه الشديد بشخصية فرحات حشاد، حيث يقول في هذا الشأن: " كانت شخصية فرحات حشاد شخصية قوية، ولكنها كانت لا تفرض نفسها على الناس فرضاً عنيفاً، بل كان الناس أنفسهم يحبون قوتها ... وكانت هذه الشخصية القوية تتدثر بدثار من الخلق المتين والبساطة في المظهر والحديث والاعتزان في الأعمال والأقوال وضبط النفس في الشدة واليسر."⁽³⁾.

كما عرض عبد الحميد مهري، المنهج الذي اتبعه فرحات حشاد في العمل⁽⁴⁾، ولم يغفل الحديث عن ثقافته الواسعة واطلاعه العميق⁽⁵⁾، كما أشار إلى عمق حسه الاجتماعي في قوله: " كان فرحات حشاد واسع الأفق متين الثقافة السياسية والاجتماعية ... كما كان يرى أن واجب الطبقة العاملة في بلاد محتلة هو أن تكون في طليعة الكفاح التحريري قبل كل شيء ..."⁽⁶⁾.

أكدت لنا كل هذه الشهادات، أنه على الرغم من استشهاد فرحات حشاد قبل أن ينهي نضاله إلا أنه قد تمكن من تحقيق الكثير من أفكاره، كما عمل على جعل الكثير من قادة الرأي في المغرب العربي يؤمنون بأفكاره ويسعون إلى تحقيقها، هذه الأفكار التي لم تنتج له الفرصة أن يشهدها حقيقة قائمة على أرض الواقع.

(1) عبد الحميد مهري، المرجع السابق، ص: 10.

(2) محمد سيف الإسلام بوفلاقة: عبد الحميد مهري سيرة و عطاء، مجلة المستقبل العربي، ع: 17 ، السنة 09، بيروت، جوان 2012، ص: 149.

(3) عبد الحميد مهري: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) محمد سيف الإسلام بوفلاقة: فرحات حشاد في مرآة المفكر المجاهد عبد الحميد مهري، المرجع السابق، ص: 22.

(5) محمد سيف الإسلام بوفلاقة: عبد الحميد مهري سيرة و عطاء، المرجع نفسه، ص: 150.

(6) عبد الحميد مهري، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: سياسة فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1952.

بعدما تعلم فرحات حشاد فنون العمل النقابي وشروطه والقواعد التي يقوم عليها، والتي اكتسبها من خلال فرصة انضمامه في (C.G.T)، وتقلد فيها أحسن المناصب بفضل مجهوده وانضباطه قرر تأسيس منظمة تونسية مستقلة تناقش فقط مشاكل التونسيين دون تمييز ولا عنصرية، كما طبق من خلالها سياسته الخاصة التي تميز بها عن غيره من الإداريين النقابيين.

وقد عمدنا من خلال هذا المبحث إلى عرض هذه السياسة التي اتبعتها فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل، مقسمين ذلك على عدة عناصر. نتكلم في النقطة الأولى عن تأسيس فرحات حشاد للاتحاد العام التونسي للشغل من خلال عرض مراحل هذا التأسيس إلى غاية الإعلان عنه كمنظمة مستقلة في اتخاذ قراراتها. أما النقطة الثانية فسننتظر إلى التعرف على الهيكل التنظيمي والتنظيمات التي اعتمدها فرحات حشاد في الاتحاد لجعله يتسم بالدقة في التسيير، وفي الأخير سنعرض أهم المبادئ والأهداف التي قام عليها الاتحاد والتي سعى فرحات حشاد إلى جعلها من شروط قيامه، وإلزامية إتباعها وتحقيقها وعدم التنازل والخروج عن أي مبدأ أو هدف.

المطلب الأول: تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل 1946.

كان الوضع الداخلي لفرنسا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية 1945⁽¹⁾، والتي عانت كثيرا من الحرب وخاصة بعد خسارتها أمام ألمانيا، وسقوط أسطورة فرنسا الواهية التي لا تهزم، يشهد ميلاد نظام جديد في الحكم يتمثل في قيام الجمهورية الرابعة⁽²⁾. حيث قامت فقط لتؤكد مدى الضعف الذي وصلت إليه فرنسا، فجاءت هذه الحكومة بأفكار سخية حول حقوق الإنسان، وضرورة بعث روح جديدة في العلاقات بين فرنسا ومستعمراتها، دون إظهار أي عزم على قبول تحقيق تطلعاتها

(1) أحمد القصاب، المرجع السابق، ص: 568.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

في الحرية والاستقلال⁽¹⁾. أما فيما يخص الوضع الداخلي لتونس، فقد شهدت هذه الفترة مرحلة جديدة تمثلت في إعادة البناء، ومحاولة إرجاع الوضع كما كان قبل الحرب . حيث شمل هذا البناء جميع الهياكل في الدولة وفي مقدمتها الحزب الدستوري الجديد⁽²⁾.

أسفر عن الإتحاد الذي تم بين "اتحاد النقابات المستقلة بالجنوب" الذي تأسس في أكتوبر 1944⁽³⁾، مع "اتحاد النقابات التونسية المستقلة بالشمال" والذي تأسس في ماي 1945⁽⁴⁾، وانضمام "الجامعة العامة للموظفين التونسيين" التي تأسست في ديسمبر 1936⁽⁵⁾، عن ميلاد حركة جديدة ذات بعد جديد، المتمثلة في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946⁽⁶⁾. وهو عبارة عن منظمة نقابية وطنية تونسية عريقة أسسها الشهيد فرحات حشاد للدفاع عن حقوق الطبقة الشغيلة من استغلال المعمرين الفرنسيين، وجلب الاستقلال التام للبلاد⁽⁷⁾.

تم الإعلان عن قيام الاتحاد العام التونسي للشغل، خلال انعقاد المؤتمر التأسيسي الأول له في قاعة المدرسة الخلدونية* بتونس العاصمة. حيث عُيِّن على إثر هذا الإجماع الزعيم النقابي فرحات حشاد أمينا عاما للاتحاد العام التونسي للشغل⁽⁸⁾، وأسندت رئاسته أيضا للشيخ العلامة

(1) أحمد القصاب، المرجع السابق، 568.

(2) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 97.

(3) أحمد الكحلوي، المرجع السابق.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد السلام بن حميدة، المرجع السابق، ص: 134.

(6) الحبيب البعوط: الإتحاد العام التونسي للشغل تاريخ بنير الدرب للأجيال، جريدة الشعب، [د-ع]، نشر بتاريخ: 23-01-2010، على الخط المباشر: [http://www.echaab.info.tn].

(7) مصطفى القلعي: الإتحاد العام التونسي للشغل ودوره في مستقبل تونس، مجلة العرب، ع: 9707، 2014، تونس، ص: 09.

* تأسست المدرسة الخلدونية عام 1896 على يد البشير صفر، كانت تدرس علوم التاريخ والجغرافيا والاقتصاد، وكان يأتيها الطلاب من كامل المغرب العربي، ونظرا لدورها الكبير في توعية الشعب ونشر الفكر القومي، لقيت معارضة شديدة من السلطات الفرنسية. أنظر/ البشير الحاج بن عثمان الشريف: أصواء على تاريخ تونس الحديث، دار بو سلامة للطباعة ، تونس، 1981، ص: 72.

(8) كمال سهيل: دور الإتحاد العام التونسي للشغل خلال الفترة الانتقالية، جريدة الحرية، ع: 1278، تونس، 2012، ص: 08.

"الفاضل بن عاشور"^{*}، وذلك لأن فرحات حشاد أراد أن تكون هذه المنظمة النقابية الحديثة العهد منظمة تكتسي طابع الإتحاد والتعاون وتجمع تحتها كل أنواع الحركات الوطنية.

حضر المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام التونسي للشغل، 55 نقابة⁽¹⁾ منها 26 نقابة⁽²⁾ تنتمي إلى النقابات المستقلة بالجنوب، و11 نقابة⁽³⁾ تنتمي لاتحاد النقابات المستقلة بالشمال، بالإضافة للجامعة العامة للموظفين التونسيين وبعض النقابات الأخرى التي لم تكن قد انضمت بعد إلى أي جهة نقابية جامعة⁽⁴⁾. وسرعان ما ارتفع عدد المنخرطين من 12 ألف عند التأسيس إلى 74 ألف سنة 1947 و100 ألف سنة 1950⁽⁵⁾. وهذا دليل على الحنكة وحسن التسيير التي كان يتمتع بهما فرحات حشاد، الذي حمل على عاتقه تحسين حاضر ومستقبل العامل التونسي، فظهرت بذلك مطالبه النقابية والمتعلقة بالزيادة في الأجور وأنظمة التقاعد والعطل خالصة الأجر وغيرها من المطالب التي اعتبرها حق أساسي يجب أن يتمتع به العامل التونسي مثله مثل العامل الأوروبي الذي لا يمتاز عنه في شيء.

خرج المؤتمر بمجموعة من القوانين التي اتفق عليها المؤتمرين الذين كانوا حاضرين ومشاركين في الاجتماع، وكان أهم قانون اتفقوا عليه، والذي يعتبر القانون الأساسي للاتحاد التونسي للشغل يُلخص على أن يُعقد المؤتمر الوطني للإتحاد كل سنة⁽⁶⁾. والمُلاحظ هنا أن العمل الفعلي والنشاط

* الفاضل بن عاشور: 1879-1973، من أهم مناضلين تونس الذين وقفوا في وجه الاستعمار كان منشط الخلدونية ومدرس بالجامعة الزيتونية، عين رئيسا للاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1946، عرف بنشاطه من خلال إلقاءه الخطب والمحاضرات التي تحث الشعب على المقاومة، كان مناصرا للقضية الفلسطينية كما له العديد من المؤلفات والمقالات من بينها مقال فلسطين الوطن القومي للعرب. أنظر/ الصادق الزملي، المرجع السابق، ص 361-367.

(1) أحمد الكحلوي، المرجع السابق.

(2) المرجع نفسه.

(3) غسان القصبي: **الذكرى 57 لاغتيال الزعيم فرحات حشاد**، جريدة الشعب، [د-ع]، نشر بتاريخ 05-12-2009، على الخط المباشر: <http://www.echaab.info.tn>.

(4) محمد بالطيب، المرجع السابق.

(5) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 98.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأساسي للاتحاد الذي يجمع بين العمل الاجتماعي والسياسي، قد بدأ مع مطلع سنة 1947 أي خلال انعقاد المؤتمر الأول للاتحاد يومي 20 و 2 جانفي⁽¹⁾، فكانت الحركة النقابية الجديدة التي بدأها فرحات حشاد خلال هذه السنة تُسفر عن وضع لا رجوع فيه ، خاصة وأن الاتحاد شهد خلال الفترة الفاصلة بين المؤتمر التأسيسي للاتحاد والمؤتمر الأول تطورا سريعا أفزع الكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية وأربكها⁽²⁾. حيث بدأت تلاحظ الانسلاخ التدريجي للعمال من الكونفيدرالية العامة، وانخراطهم في الاتحاد العام التونسي للشغل وتعزيز صفوفه ومساندته.

عمل فرحات حشاد جاهدا ليكون الاتحاد العام التونسي للشغل مشروعا ناجحا، يحقق من خلاله كل الآمال التي وضعها الشعب التونسي في شخصه. فحصل على تأييد حزب الدستور الجديد الذي حاول احتواءهم والالتفاف حولهم⁽³⁾. وهذا ما عرّضه لانتقادات كبيرة وجهت له من معارضيه فعلى سبيل المثال صرح "السعداوي"⁽⁴⁾ وهو أحد النقابيين الشيوعيين، بما مفاده أن حشاد قد انحاز عن الهدف الأساسي الذي قام عليه الاتحاد، وهو العمل على تحسين الأوضاع الاجتماعية للشعب، وأصبح ينشط في السياسة مستترا تحت غطاء العمل النقابي، وأن أعماله هي تفريق للعمال⁽⁵⁾.

فكان رد حشاد من خلال خطاب ألقاه أمام طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس في 20 ديسمبر 1946⁽⁶⁾، يؤكد من خلاله أنه لا مجال للعمل الاجتماعي في بلد تحكمه قوة سياسية أجنبية، وأنه لا يمكن تحقيق الإصلاح الاقتصادي لشعب لا يعرف معنى الحرية. فقول في هذا الصدد: " الحركة النقابية في أي بلاد العالم وفي أي مكان ... تهتم اهتماما متزايدا بكل ماله

(1) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 98.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) الطاهر المعز، المرجع السابق، 04.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 90.

(5) عبد السلام بن حميدة: النقابات و الوعي القومي مثال تونس، مجلة المستقبل العربي، ع: 83، بيروت، 1986، ص: 45.

(6) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا المسلمين في باريس، بتاريخ 20 ديسمبر 1946، جريدة الشعب، عدد خاص،

05-12-1959، مؤسسة فرحات حشاد، تونس، 2015، ص: 248-249.

علاقة بالتقدم الاجتماعي... وبعبارة أخرى تعبير كل الشكاوي آذانا صاغية وتعبر عن كل غضب وهي المُعَبِّرُ الصادق عن رغائب الطبقات الكادحة الحية في البلاد ، إن الحركة النقابية لم تعد اليوم مقتصرة على تحقيق المطالب التي أخذت على نفسها القيام بها أول الأمر ... بل أصبحت تعمل في مقدمة كل عمل يهدف إلى ضمان الاستقلال الوطني والحرية لبلادهم ...⁽¹⁾.

إن الصدق في العمل الذي كان يقوم به فرحات حشاد تجاه الاتحاد، جعل جُل الشعب التونسي يثق به، فعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت ضده لم تؤثر على شعبيته لدى الناس، بل زادت من انضمام العمال للاتحاد، وهذا ما شجع حشاد للمواصلة في طريق كفاحه وهو متأكد من أنه كَوَّنَ شعبا واعيا ناضجا لا يُستهان بقدراته وبطموحاته، لذلك باشر حشاد في تنظيم الاتحاد وترتيب صفوفه وعمله حتى أوصله إلى مصاف العالمية.

المطلب الثاني: الهيكل التنظيمي للاتحاد العام التونسي للشغل.

عمل فرحات حشاد على أن يكون الهيكل التنظيمي للاتحاد العام التونسي للشغل يرقى إلى مستوى الهيكل التنظيمي (C.G.T)⁽²⁾، التي استفاد من خبرة مؤطريها فأول شيء ركز عليه فرحات حشاد في هذه الفترة هو الدقة في التنظيم والاختيار الصحيح للأشخاص الذين سيعتمد عليهم في تسيير هياكل الاتحاد، أي بمعنى أصح سعى لأن يضع كل شخص مناسب في مكانه المناسب. كما سعى لأن يكون تنظيمه قائم على أساس بعدين مهمين في مسار الاتحاد، الأول كان البعد الاجتماعي، أما الثاني فكان قائم على أساس ثوري هرمي⁽³⁾، فكان تنظيمه كالتالي:

(1) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا المسلمين في باريس، المرجع السابق، ص: 295.

(2) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 98.

(3) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 197.

1- المؤتمر الوطني للاتحاد:

يعد هذا المؤتمر أعلى هيئة في الاتحاد⁽¹⁾. يجتمع هذا المؤتمر كل سنتين يراقب من خلالها جميع أعمال الهيئة الإدارية للاتحاد خلال هذين السنتين، كما يقرر اتجاهاته العامة الواضحة لنظامه الداخلي، ويحاسب الهيئة الإدارية عن إدارتها للاتحاد⁽²⁾. ومن بين الأعمال التي يقوم بها أيضا أنه يشرف بنفسه على انتخاب الهيئة الإدارية، ويتكون من أعضاء ينوبون عنه مباشرة بعد أن يتم انتخابهم في نطاق النقابات، كما يضع المخطط المستقبلي الذي سيتبعه الاتحاد فيما يخص حركة العمل والكفاح⁽³⁾.

2- المجلس القومي للاتحاد:

يعتبر هذا المجلس بمثابة الهيئة الثانية ضمن الهيكل التنظيمي للاتحاد العام التونسي للشغل⁽⁴⁾. يعقد المجلس الوطني بدوره اجتماعات على شكل الاجتماعات التي يقوم بها المؤتمر الوطني، لكن تكون هذه الاجتماعات كل ستة أشهر، يضم من خلاله جميع العناصر المكونة للهيئة الإدارية للاتحاد منها ممثلي الاتحادات الجهوية والمحلية والجامعات القومية⁽⁵⁾. حيث تقدم الهيئة الإدارية للمجلس الوطني جميع التقارير المتعلقة بنشاط سير الاتحادات بصفة عامة، ولهذا المجلس العديد من الصلاحيات التي أقرها المؤتمر الوطني منها؛ أن للمجلس الحق في إملاء آرائه واقتراحاته على الهيئة الإدارية⁽⁶⁾، بشرط أن تكون هذه الآراء ضمن الخطوط التي رسمها المؤتمر الوطني ولا تحيد عنها.

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 86.

(2) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 197.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المكتب التنفيذي للاتحاد:

يتكون هذا المكتب من 11 عضواً⁽¹⁾. تنتخبهم الهيئة الإدارية وأعضاؤه هم أعضاء في الهيئة الإدارية، عملهم هو تنفيذ مقررات الهيئة الإدارية والقيام بجميع الأعمال الإدارية اليومية للاتحاد وتنظيم جميع حركات الكفاح العمالي⁽²⁾، والأمين العام هو الذي ينسق أعمال الاتحاد العامة⁽³⁾. يعتبر فرحات حشاد هو أول من تقلد هذا المنصب وسيره .

4- الاتحادات الجهوية والجامعات القومية:

تعتبر هاتان الهيئتان الرئيسيتان من بين الهيئات التابعة للمكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل، التي تتفرع منها عشرات النقابات والاتحادات المحلية والجامعات الداخلية المرتبطة جميعها بالمكتب التنفيذي الرئيسي⁽⁴⁾. وتندرج كل هذه الفروع إلى جانب المكتب التنفيذي ضمن النظام العام للاتحاد التونسي للشغل، الذي عمل فرحات حشاد على جعله نظاماً كاملاً تعمل كل فروعته بشكل هرمي، وتصب جل نشاطاتها في خدمة البلاد والصالح العام. فقام فرحات حشاد بتقسيم تنظيم الاتحاد إلى مجموعة من الأقسام هي⁽⁵⁾:

أ - العضوية:

ويقصد بالعضوية هنا هي انخراط العمال في الاتحاد⁽⁶⁾، لأن فرحات حشاد كان يشجع دائماً العمال للانخراط ضمن صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل، والعمل ضمن هياكله ليتمكنوا من معرفة حقوقهم الاجتماعية والمطالبة بها، وتحقيق أهدافهم وطموحاتهم.

(1) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 198.

(2) فاطمة اللواتي، المرجع السابق.

(3) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص: 200.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 87.

(5) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

(6) المرجع نفسه، ص: 185.

كما يعتبر أن كل عامل تونسي هو مناضل في معركة الحرية والاستقلال، وأن واجبه الأساسي يكمن في أن يخوض المعركة إلى جانب إخوانه الآخرين وألا يقصر في بذل أي جهد في سبيل دفع الحركة الشعبية لطريق النجاح⁽¹⁾، كما أنه من حق أي عامل أن ينظم للاتحاد مهما كانت نوعية عمله، المهم أنه يعمل بجهده ويعيش بكدي يمينه⁽²⁾. مثال ذلك أن عامل الميناء وعامل المصنع وعامل سكة الحديد وفراش المدرسة وأستاذ الكلية، كل هؤلاء وغيرهم من العمال يحق لهم الانخراط في صفوف الاتحاد⁽³⁾.

ب - النقابات:

تعتبر النقابة بمثابة أصغر خلية في الاتحاد⁽⁴⁾، ولكل نقابة هيئة إدارية ينتخبها الأعضاء المنخرطين ضمن هذه النقابة، وتتولى الهيئة المنتخبة إدارة شؤون النقابة، كما تكون بمثابة همزة الوصل بين النقابة الواحدة وبين أعضائها وبين المَرْتَبَات الأخرى في الاتحاد⁽⁵⁾. وتمتاز هذه النقابات بأنها تضم العمال أصحاب العمل الواحد، والمجال الواحد والحرفة الواحدة، الذين يعيشون في نفس القرية، كما يكون للاتحاد مئات النقابات في جميع المدن التونسية⁽⁶⁾. ومثال ذلك نجد نقابة عمال الميناء بتونس تضم هذه النقابة العمال الذين يعملون في ميناء تونس فقط، وأيضا نقابة عمال شركة الترام وغيره من العديد من النقابات في الاتحاد العام التونسي للشغل⁽⁷⁾، وتشكل الهيئات النقابية المشرفة الرباط الذي بواسطته تتصل مرتبة النقابات بالمراتب التي فوقها⁽⁸⁾.

(1) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 185.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 85.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص: 199.

(6) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، ص: 87.

(7) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يدل هذا التعدد والتنوع في النقابات التابعة للاتحاد العام التونسي للشغل على مدي التطور التي وصلت إليه النقابة التونسية، وإلى الدقة والحنكة في التنظيم التي اتبعتها فرحات حشاد، مع العلم أنها نقابة مستقلة ولا يكتسب الأعضاء المنخرطين فيها الخبرة الكافية لتكوين اتحاد نقابي بهذا التطور.

ج - الجامعات:

يدخل عمل الجامعات ضمن النشاط الذي تقوم به النقابات⁽¹⁾، لأن مهمتها تكمن في جمع النقابات الصغيرة والإشراف على جميع شؤونها ومراقبة صيرورة عملها في المجال المخصص لها لهذا سميت بالجامعة⁽²⁾. وهذه الجامعات تكون مكونة من ممثلي النقابات الذين ينتخبهم أعضاء النقابات⁽³⁾. والجامعات هنا نوعان، حيث نحد مثلا جامعة التعليم والتي تضم جميع نقابات المعلمين والأساتذة، وجامعة الصحة وهي تضم جميع النقابات التابعة لقطاع الصحة، وأيضا جامعة الأشغال العامة والتي تضم بدورها عمال وموظفي وزارة الأشغال العامة وغيرها من الجامعات. كلها تسمى بالجامعات الفرعية وهي تشكل النوع الثاني من الجامعات⁽⁴⁾، أما النوع الأول لهذه الجامعات وهي الجامعة العامة للموظفين التي كانت بداية تأسيسها في شهر ديسمبر 1936⁽⁵⁾، وهي أكبر جامعة تضم جميع الجامعات الفرعية، وتعتبر أكبر هيئة تأتي بعد الاتحاد العام التونسي للشغل.

(1) حسونة المصباحي، المرجع السابق.

(2) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 199.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 88.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد السلام بن حميدة، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال، المرجع السابق، ص: 134.

د - الاتحادات الجهوية:

كان كل اتحاد جهوي تابع للاتحاد العام التونسي للشغل، يعمل على مراقبة الحياة النقابية وعلى التنظيم النقابي في جهته، أي أن كل مدينة لها إتحاد جهوي يشرف على جميع تنظيمات النقابات القائمة في تلك المدينة مهما كان تخصص تلك النقابات⁽¹⁾. وعدد هذا النوع من الاتحادات الجهوية التابعة للاتحاد العام التونسي للشغل هو 15 إتحاداً⁽²⁾؛ وهي إتحاد مدينة تونس بنزرت، قابس، سوسة، صفاقص، الكاف، باجة، سوق الأربعاء، زغوان، نابل، القيروان، اتحاد قبلي، مدنين، قفصة وتوزر الجريد⁽³⁾. وكان يطلق على بعض اتحادات هذه المناطق بالاتحاد المحلي باعتبار طبيعة عملها المحلية.

هـ - الهيئة الإدارية:

وهي الهيئة التي تشرف على جميع أعمال الاتحاد وتنتخب من جميع الجامعات العمالية والاتحادات الجهوية⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: مبادئ وأهداف الاتحاد العام التونسي للشغل.

منذ تأسيس فرحات حشاد للاتحاد العام التونسي للشغل، وهو يسعى لتطبيق وتحقيق المبادئ والأهداف التي قام على أساسها، والتي اعتبرها من أهم الركائز التي يقوم عليها الاتحاد، وأنه لا مجال لأن يحيد عن هذه المبادئ والأهداف، ومن هنا ولأهمية هذا الجانب بالنسبة لحشاد، نجده صاغ مبادئ وأهداف الاتحاد بأسلوب واضح وصريح في التعبير يوضح من خلاله منطلقاته وأهدافه. وتمثلت هذه المبادئ والأهداف فيما يلي:

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 88.

(2) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 199.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- مبادئ الاتحاد العام التونسي للشغل:

- المبدأ الأول:

كان المبدأ الأول الذي طرحته وقامت على أساسه الحركة النقابية التونسية، حيث اعتبره القائد والزعيم النقابي فرحات حشاد من أهم المبادئ التي يجب أن لا يتخلى أو يحيد عنها الاتحاد، وهو مبدأ الثورية⁽¹⁾. أي أنه من واجب كل عامل تونسي سواء كان بجهد أو فكره أن يناضل من أجل استقلال بلاده وطرده الاستعمار، حتى يتمكن العامل وكل فرد يعيش في هذه الأرض أن ينال حقوقه ويتمتع بها. والملاحظ هنا أن نفس هذا المبدأ قامت على أساسه الحركة النقابية التونسية أثناء تجربتها الأولى، وهذا دليل على أن الاتحاد العام التونسي للشغل هو وريث لجامعة عموم العملة التونسيين التي تأسست سنة 1924، وهذا ما أكدته فرحات حشاد في الخطاب الذي ألقاه على طلبة شمال إفريقيا في باريس حيث قال: "... إن اتحادنا العام له أسمى الشرف بأن كان وريث المنظمة التي أسسها المرحوم محمد علي ..."⁽²⁾.

- المبدأ الثاني:

أخص الاتحاد العام التونسي للشغل مبدأه الثاني بأهم نقطة مكنته من أن يكون أهم حركة في تاريخ تونس وقفت في وجه الاستعمار. هذا المبدأ هو مبدأ التنظيم⁽³⁾. الذي اعتبره فرحات حشاد وكماوضحنا في نقطة سابقة عمود العمل النقابي الأساسي، فأى عمل لا يقوم على أساس التنظيم في رأي الاتحاد ومؤسسه سيكون مآله الفشل، وسوف يسقط أمام أول مواجهة تعسفية قد تقوم بها القوى الرجعية المسيطرة والمسيرة لجميع دواليب الحكم في الدولة.

(1) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 197.

(2) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا المسلمين، المرجع السابق، ص: 246.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 89.

- المبدأ الثالث:

العمل⁽¹⁾. هو المبدأ الثالث الذي اعتمدته الاتحاد العام التونسي للشغل لضمان صيرورة كفاحه ونضاله في المستقبل. حيث اعتبر الاتحاد العمل هو أساس العمل النقابي والسبب الوحيد في تشكيل حركة نقابية تدافع على حقوق العامل وتحافظ على عملهم، لذلك فواجب العامل تجاه هذه الحركة هو العمل بإخلاص وإتقان⁽²⁾، ويعتبر العمل الذي يقدمه العامل التونسي لخدمة بلده، هو نضال من أجل حقوقه وتحقيق أهدافه، ونضال في نفس الوقت من أجل تغيير نظام الحكم السائد في البلاد، وعليه فعلى العمال أن يعتبروا أن نضالهم من خلال عملهم موجه ضد الاستعمار لإخراجه من البلاد⁽³⁾.

- المبدأ الرابع:

يقوم المبدأ الرابع على الوطنية⁽⁴⁾، التي هي أهم شعور يجب أن يحسه العامل التونسي تجاه بلده، أي أن العامل التونسي يجب أن يحس بشعور الانتماء لبلده حتى يتمكن من الوقوف في وجه قوى الفساد والدكتاتورية. هنا برز دور فرحات حشاد والقادة النقابيين، حيث سعوا إلى توعية وتنقيف العمال التونسيين حول تاريخهم وأصولهم وأهمية بلادهم، وكان الهدف من ذلك هو تكوين عمال تونسيين واعيين بحقيقة الوضع الذي يعيشونه، وغرس شعور الانتماء والوحدة في نفوس العمال الذين سيحملون مشعل المقاومة وطرد الاستعمار. وتمثل النشاط التوعوي الذي قام به في إلقاء سلسلة من الدروس تُلقى دوريا على العمال⁽⁵⁾، وتشمل هذه الدروس عدة مجالات، منها الدروس العامة، وتشمل بدورها مواضيع واسعة النطاق كالجغرافيا الاقتصادية والاجتماعية لشمال

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 89.

(2) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 198.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص: 200.

إفريقيا، وأهمية هذه المنطقة الإستراتيجية بالنسبة للدول الاستعمارية الكبرى⁽¹⁾. كما شملت هذه الدورات مواضيع نقابية يشرح من خلالها طبيعة العمل النقابي، وضرورة الكفاح على المستوى الوطني وعلى المستوى الإقليمي والعالمي للوقوف والاتحاد المشترك لإنهاء الهيمنة الاستعمارية والقضاء عليها من جذورها⁽²⁾.

هذه أهم المبادئ التي آمن بها فرحات حشاد واعتمدها في تطبيق سياسته النقابية لتسيير الاتحاد، وسعى لأن يكون كل مبدأ من هذه المبادئ مرسخ في أي عامل من العمال التونسيين ويؤمن به ويعمل على أساسه حتى يتم إنجاح هذا المشروع وتحقيق أهدافه التي تأسس من أجلها.

2- أهداف الاتحاد العام التونسي للشغل:

منذ أن تأسس الاتحاد العام التونسي للشغل، حُدِّت وُسِّطت أهدافه، وذلك خلال المؤتمر التأسيسي الذي قام على إثره الاتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946⁽³⁾. ومن أهم هذه الأهداف نجد:

- توحيد وتنظيم جميع المشتغلين بالفكر واليد والمتقاعدين منهم على النطاق الوطني⁽⁴⁾. أي أن جميع العمال التونسيين يعملون كيد واحدة تقف في وجه الاستبداد .

- النهوض بأوضاع العمال الاقتصادية والاجتماعية والارتقاء بوعيهم والدفاع عن مصالحهم المعنوية والمادية⁽⁵⁾. وقد تجلّى ذلك واضحا من خلال المطالب التي صدرت عن الاتحاد العام التونسي للشغل خلال عقد مؤتمره التأسيسي. وجاءت على النحو التالي:

(1) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 200.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) عبد السلام بن حميدة، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال، المرجع السابق، ص: 135.

(4) علي عجيل منهل: الاتحاد العام التونسي للشغل - دوره في تاريخ تونس الحديث -، الحوار المتمدن، العدد 3250، تونس،

2011، ص، 12.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- العقود و الزيادة العامة في الأجور وأنظمة التقاعد⁽¹⁾.
- المشاكل الاقتصادية المتعلقة بالموارد الغذائية والمطالبة بتوزيع أزياء الشغل⁽²⁾.
- تحسين وضعية العمال الفلاحين من ناحية الأجور والمنح العائلية والعطل الخاصة الأجر وأسبوع عمل بـ40 ساعة لكافة عمال القطاع⁽³⁾.
- أما فيما يخص الهدف الثالث، فهو متعلق بإنشاء اقتصاد وطني مستقل متحرر من كل تبعية وتحقيق توزيع عادل للثروات الوطنية، بما يضمن طموحات جميع الشغاليين والفئات العمالية والشعبية⁽⁴⁾. حيث آمن فرحات حشاد بنجاح هذا الهدف، بما أنه استطاع تكوين اتحاد نقابي مستقل عن أي إتحاد أجنبي، بعدما رفض عرض الشيوعيين حين طلبوا منه أن يقوم بتمثيل اتحاد العمال التونسيين الذي كان سابقا تحت اسم الكونفيدرالية العامة للشغل⁽⁵⁾. كما أنه استطاع أن يرد على الزعيم الاشتراكي "ديران انقليفيال" الذي صرح في مقال له جاء فيه: " إنه لا يمكن التفكير في ترك الحرية للبلاد التونسية في إدارة شؤونها بنفسها ما لم تسير الطبقة العمالية التونسية إدارة شؤونها بنفسها والدفاع عنها ضد مستثمريها "⁽⁶⁾. وهذا ما فعله عمال تونس الذين تمكنوا من تسيير شؤونهم بكل استقلالية دون أي تدخلات أجنبية.
- الدفاع عن الحريات العامة والفردية وترسيخ الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان⁽⁷⁾. حيث صرح فرحات حشاد بذلك في المحاضرة التي ألقاها خلال انعقاد المؤتمر الرابع للاتحاد العام التونسي

(1) عبد السلام بن حميدة، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال، المرجع السابق، ص: 135.

(2) فاطمة اللواتي، المرجع السابق.

(3) عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) علي عجيل منهل، المرجع السابق، ص: 12.

(5) نور الدين حشاد، المرجع السابق، ص: 106.

(6) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص: 250.

(7) علي عجيل منهل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للشغل⁽¹⁾، بعبارات محاولاً من خلالها التعريف بالإتحاد العام التونسي للشغل والهدف الأساسي من وراء تأسيسه حيث قال " ... الإتحاد هو أعظم أدوات الرقي في هذه البلاد في جميع الميادين وهو مدرسة اجتماعية وإنسانية وهو موطن الكفاح الحقيقي الصادق الصالح الذي لا يرمي إلا إلى إقرار العدل والحريات الأساسية وإلى منح المجتمع التونسي حقه في الرفاهية والازدهار المادي والمعنوي⁽²⁾ ". ويضيف قائلاً: " الاتحاد هو عنوان وحدة الشعب التونسي وتكتله وإجماعه في إرادة القومية الكفاحية بما لا يزال يجدده من مواقف في مقدمة النضال التونسي وما لا يزال يسقط من بين رجاله في ساحة الشرف القومي⁽³⁾ ".

- دعم الإتحاد النقابي لعمال المغرب العربي والاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، من أجل الدفاع عن حقوق الطبقة العاملة العربية وبناء التكامل الاقتصادي والعمل على تحقيق الوحدة العربية وخدمة قضاياها⁽⁴⁾. حيث جاء في خطاب لفرحات حشاد يقول فيه: " إن حركتنا العمالية لا يمكن أن تبقى منكشدة داخل الحدود التونسية ... فمنظمتنا محتاجة إلى الاعتماد على وحدة عمل جميع منظمات البلاد ذات الخطوط المشتركة في ميادين الحياة الأخرى. وأعني بذلك توحيد الحركة النقابية بشمال إفريقيا وهو مشروع عزيز علينا طالما حلمنا به وسوف لا نألو في سبيل تحقيقه⁽⁵⁾ ".

- التعاون مع الحركات النقابية في العالم طبقاً لمبادئ الاتحاد العام التونسي للشغل، ومساندة جميع الشعوب المضطهدة والمكافحة من أجل استرداد سيادتها وتقرير مصيرها⁽⁶⁾.

(1) فرحات حشاد: خطاب المؤتمر الرابع للإتحاد العام التونسي للشغل، 31-03-1951، مؤسسة فرحات حشاد، تونس، 07-12-2010، ص: 06.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) علي عجيل منهل، المرجع السابق، ص: 13.

(5) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص: 251.

(6) علي عجيل منهل، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نستنتج من خلال عرضنا لهذا الفصل بكل عناصره، أنه على الرغم من المستوى التعليمي البسيط لفرحات حشاد، إلا أنه استطاع أن يُكوّن من نفسه شخصية يشهد لها التاريخ بما كانت تبذله من نضال وكفاح حتى ينعم شعب بلاده بالحرية والاستقلال. حيث توصل فرحات حشاد إلى ضرورة تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل الذي سيكون تنظيماً تونسياً بحثاً وتكون جل مطالبه في خدمة العامل التونسي وتراعي حقوقه. وبالفعل تمكن فرحات حشاد بتاريخ 20 جانفي 1946 من تأسيس هذا الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي بدأت جماهير العمال تنخرط ضمن صفوفه تدريجياً.

هذا ما أقلق المنظمة الفرنسية وسعت بكل جهودها أن تعرقل هذا العمل وتوقف نشاطه كما فعلت مع سابقاته (جامعة عموم عملة تونس الأولى و الثانية)، لكن عزيمة وإصرار فرحات حشاد التي انتقلت فيما بعد إلى العمال حالت دون ذلك. وانتهى الأمر بالكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية إلى أن تغير اسمها وتصبح إتحاد العمال التونسيين، ذلك لأن العمال التونسيين تأكدوا من أن التنظيم النقابي الفرنسي لا يخدم مصالحهم في شيء، وإنما جاء لخدمة مصالح المستوطنين والمعمرين الأوروبيين، فبدأ تزايدهم للانخراط في الاتحاد العام التونسي للشغل. هذا ما اعتبره فرحات حشاد انتصاراً في حد ذاته.

استطاع فرحات حشاد أن يوظف الخبرة التي اكتسبها في فترة انضمامه في الكونفيدرالية العامة للشغل، فقام بتنظيم الاتحاد العام التونسي للشغل وتشكيل هيكل تنظيمي متميز، تمكن من خلاله أن يحصد نتائج ممتازة، قادته للانضمام إلى المنظمة النقابية العالمية، التي اعترفت بدورها بأن الاتحاد العام التونسي للشغل هو أول منظمة مستقلة عربية استطاعت تسيير جميع هياكلها بنفسها واستطاعت أن تقف في وجه الاستعمار. كل هذا ما كان ليحدث لولا الإيمان القوي لفرحات حشاد بمبادئه، ورسمه لأهداف واضحة سعى ونجح في تحقيقها.

الفصل الثالث:

إنعكاسات سياسة فرحات حشاد

على العمل النقابي في تونس

المبحث الأول: دور فرحات حشاد في العمل النقابي في تونس

المبحث الثاني: نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل في الخارج

المبحث الثالث: مواقف من سياسة فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل

تمكن فرحات حشاد من تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي أصبحت له شعبية جماهيرية كبيرة بين صفوف العمال والشعب التونسي، الذين ساندوا فرحات حشاد منذ بداياته الأولى ودعموه بإيمانهم الشديد بقضيته؛ التي سعى من خلالها طرد الاستعمار الفرنسي وتحقيق الاستقلال، هذه القضية التي لطالما حاول فرحات حشاد جعلها من أوائل الأمور التي يجب أن ينشغل بها التونسيين، ويجب أن تكون من أولى اهتماماتهم، لأنه ليس من المنطق أن يطالب شعب بالاستقلال الاقتصادي والاجتماعي في بلد لا يعرف معنى الاستقلال السياسي، فكانت هذه من المبادئ التي آمن بها حشاد وحاول ترسيخها في نفوس الشعب التونسي.

ساعدت الظروف التي مرت بها تونس في تلك الفترة في تصعيد مكانة الإتحاد العام التونسي للشغل، فكان له دور فعال ومهم إلى جانب الأحزاب السياسية والوطنية الأخرى، وعلى جميع المستويات والأصعدة سواء على الصعيد الاجتماعي أو الاقتصادي وحتى على الصعيد السياسي والوطني، ناضل من خلالها حشاد في خضم الاتحاد من أجل أن يعلي كلمة تونس ويثبت بأن هناك شعب مناضل حر يستحق أن يقرر مصيره ويسير نفسه بنفسه دون حاجة لأي نوع من أنواع الاستعمار الزائفة، التي تسعى لاستغلال ونهب خيرات الشعوب الضعيفة والمغلوب على أمرها.

فبرز دور فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي في العديد من المواقف والأمر، فمنذ تأسيسه للإتحاد 1946 وحتى قبل هذا التاريخ أي الفترة التي كان فيها عضو في الكونفيدرالية العامة للشغل كان حشاد يناضل إلى جانب العمال ويطالب بحقوقهم، والمساواة بينهم وبين العمال الأوروبيين، فكان دوره واضح وفعال حتى من خلال الخطابات ومقالاته التي كان يلقيها على العمال التونسيين، والتي كانت تثير الحماسة وحب النضال والكفاح في نفوس الشعب التونسي عامة والعمال بصفة خاصة، كما كان لسياسة فرحات حشاد في الاتحاد انعكاسات واضحة شهدت من خلالها الحركة النقابية التونسية فترة مليئة بالأحداث والتطورات والتي سنحاول التطرق لها بشكل مفصل من خلال هذا الفصل الأخير.

المبحث الأول: دور فرحات حشاد في العمل النقابي في تونس.

منذ أن بدأ فرحات حشاد يعمل في المجال النقابي وهو مؤمن كل الإيمان بأنه من واجب كل عامل مهما كان عمله أن ينخرط في هذا المجال، ويشارك مع زملائه من العمال الآخرين في المطالبة بحقوقهم والزامية التمتع بها، لأنه لا فرق بينهم وبين العمال الأوروبيين، بل أن الحق كله معهم لأنهم يعملون في أرضهم، أما الأوروبيين فهم مجرد مستوطنين غرباء يحاولون استغلال خيرات البلاد لصالحهم، لذلك كانت كل خطابات فرحات حشاد التي كان يلقيها على مسامع العمال خاصة والشعب عامة، كانت كلها تصب في الدعوة وتحفيز العمال للالتفاف حول الإتحاد التونسي الذي يسعى جاهدا لتحقيق مطالبهم.

ومن هنا بدأ دور فرحات حشاد يبرز للعموم، حيث استطاع من خلال مجهوداته التي قام بها في ظل الإتحاد أن يحظى بالاحترام والتقدير من الجميع، وأن يشهد له الجميع بالدور الريادي الذي يقوم به، فلقد كان لفرحات حشاد دور كبير في الإتحاد ابتداءً بالجانب الاجتماعي والاقتصادي وما لبث أن انتقل للجانب السياسي، وبالتالي شمل دور فرحات حشاد كل الميادين المهمة والتي كانت تبين مدى استقلالية الاتحاد عن غيره من الأحزاب الأخرى، ومن خلال هذا المبحث سنتطرق ونفصل أكثر في دور فرحات حشاد الاجتماعي والاقتصادي وأيضا دوره السياسي الذي أبهر من خلاله الجميع.

المطلب الأول: الدور الاجتماعي والاقتصادي.

إن الأسس والمبادئ التي قام عليها الإتحاد العام التونسي للشغل واضحة وصارمة في نفس الوقت، أي أنه لا مجال للحياد عنها أو العمل بعكسها، حيث كانت تصب في مجملها حول الاستقلالية النقابية والعمالية التي اندمجت فيما بعد بالاستقلالية للوطن التونسي ككل، وعليه أصبح الإتحاد قوة فاعلة في الصراع الذي عاشته تونس⁽¹⁾، وكان في مقدمة القوة الاجتماعية

(1) أحمد الكحلوي: العمل النقابي التونسي في سياق التحرر العربي الإسلامي، جريدة الفجر، ع: 25، السنة 7، 2010، ص:

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

والاقتصادية والسياسية الراضة للجمود والتخلف والطامح إلى إقامة مجتمع تسوده الحرية والرفاه الاجتماعي⁽¹⁾، لذا خاض معركته الاستقلالية في الحصول على الحق النقابي، كما عارض بشدة المحاولات الرامية إلى تهميشه من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي⁽²⁾.

منذ أن تأسس الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1946، برز معه الدور الاجتماعي والاقتصادي للزعيم النقابي فرحات حشاد، الذي سعى من خلاله إلى ترسيخ مبادئ الحرية والاستقلال والعمل في نفوس العمال والشعب التونسي عامة، فقد خاض فرحات حشاد طيلة مرحلة كفاحه في ظل الاتحاد العام التونسي للشغل معركته الأولى، التي يعتبرها أساس العمل النقابي والسبب الأساسي في قيامه، وهي ضرورة استقلال الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعمال، وأن يكون لها تسيير ذاتي من قبل التونسيين أنفسهم، لأنهم قادرين على ذلك ما إن التفوا حول الإتحاد وآمنوا به.

حلم فرحات حشاد طيلة مرحلة نضاله بأن يكمل مسيرة أب الحركة النقابية التونسية محمد علي الحامي، التي بدأها سنة 1924، فكان بذلك خير وريث لهذه الحركة، حيث تكمن الانطلاقة السريعة للاتحاد العام التونسي للشغل في قائدها فرحات حشاد الذي تمكن من بلورة خطاب نقابي يمكن اعتباره وفيًا للتجربة النقابية الأولى التي قادها محمد علي⁽³⁾، وخير معبر عن المبادئ النقابية الأساسية التي رسختها الكونفيدرالية العامة للشغل في الأوساط العمالية، والتي تكمن في الدفاع عن حقوق العمال والمساواة بينهم.

بعدها سرعان ما برز الاتحاد العام التونسي للشغل للساحة السياسية، والذي احتلت المسائل الاجتماعية عنده الصدارة منذ تأسيسه⁽⁴⁾. حيث ركز فرحات حشاد من خلال المؤتمر الأول

(1) أحمد الكحلوي، المرجع السابق، ص: 06.

(2) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 90.

(3) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 135.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

للاتحاد العام التونسي للشغل المنعقد في جانفي 1946⁽¹⁾، على أن تكون مطالبه تصب في الجانب الاجتماعي والاقتصادي حيث جاءت على النحو التالي:

- العقود المشتركة والزيادة العامة في الأجور⁽²⁾.

- أنظمة التقاعد⁽³⁾.

- المنح العائلية ومجالس التحكيم والعطل الخالصة للأجر⁽⁴⁾.

- المشاكل الاقتصادية المتعلقة بالمواد الغذائية (تقسيط الزيت) وبمطالب توزيع أزياء الشغل⁽⁵⁾.

- تحسين وضعية العمال الفلاحين من ناحية الأجور والمنح العائلية والعطل الخالصة للأجر وأسبوع عمل بـ 40 ساعة لكافة عمّال القطاع⁽⁶⁾.

عمل فرحات حشاد جاهداً من خلال كل محاضرة أو مقال يكتبه، على أن يوجه فيه كلام للعمال ينمي فيهم روح التعاون والتضامن، ويؤكد لهم أنه بالوحدة لا يمكن لأيّ كان أن يقف في وجه طموحاتهم، ومن ذلك الخطاب الذي ألقاه أمام طلبة شمال إفريقيا في 20 ديسمبر 1946⁽⁷⁾ ألح من خلاله على ضرورة تثقيف جماهير العمال وذلك عبر ترسيخ مفهوم التضامن والوحدة فجاء في قوله: " إن الطبقة العمالية بشمال إفريقيا قادرة على الدفاع بصفة ناجعة عن مصالح الطبقة العمالية في الأقطار الثلاث ذات المصير المشترك. وسوف لا نالوا جهداً في سبيل تحقيق هذه الجامعة العزيزة علينا بصفة خاصة "⁽⁸⁾.

(1) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية و دولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 135.

(2) فاطمة اللواتي، المرجع السابق.

(3) عبد السلام بن حميدة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) فاطمة اللواتي، المرجع نفسه.

(6) المرجع نفسه.

(7) عبد السلام بن حميدة: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا 20 ديسمبر 1946، المرجع السابق، ص: 251.

كما سعى فرحات حشاد طيلة فترة نضاله ولم يغفل يوما عن طرح مشاكل العمال التي يعانون منها، فكانت مشكلة تعديل الأجور المحور الرئيسي للجزء الأول من أشغال المؤتمر القانوني الثاني في 19-21 ديسمبر 1947⁽¹⁾، ووقع ربطه بطبيعة الحال بمسألة الأسعار التي أولاها اهتماما خاصا، حيث اعتبر حشاد أنها تتحكم في حياتنا الاقتصادية لما لها من تأثير مباشر على المقدرة الشرائية للشغّالين. وقبل انعقاد هذا المؤتمر أي في 20 جويلية 1947⁽²⁾، انتظم اجتماع بتونس حضره 2000⁽³⁾ عامل قرر من خلاله فرحات حشاد ومجموعة من القادة النقابيين على تنظيم الإضراب العام يوم 05 أوت، للمطالبة بالرفع من الحد الأدنى المعيشي للعمال غير المختصين⁽⁴⁾، وغيرها من المطالب الأخرى، لكن جوبه هذا الإضراب بارتكاب الاستعمار الفرنسي مجزرة استهدف من خلالها العمال التونسيين، راح ضحيتها عدد كبير من العمال الأبرار.

بما أن فرحات حشاد كان دائما يضع مصلحة العامل التونسي وراحته فوق كل شيء، فقد ركّز أيضا من خلال المؤتمر الثالث للاتحاد المنعقد أيام 15 و 16 و 17 أبريل 1949⁽⁵⁾ على جوانب اجتماعية واقتصادية من شأنها أن توفر حياة أحسن للعمال، فتمحورت أهم مطالبه حول:

- تأميم المؤسسات الكبرى ذات المصلحة العامة⁽⁶⁾.

- المقاومة الفعلية والناجعة للبطالة⁽⁷⁾، والاعتراف بحق الشغل للجميع⁽⁸⁾.

(1) عفيفة المناعي: الإتحاد العام التونسي للشغل و الانتقال الديمقراطي، مبادرة الإصلاح العربي، الدورة الثانية، ع: 02، 2016، ص: 03.

(2) حمة الهمامي: قراءة في تاريخ الحركة النقابية، صامد للنشر والتوزيع، تونس، 1986، ص: 48.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد السلام بن حميدة: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 135.

(6) عبد المجيد بالهادي: فرحات حشاد نضال و مواقف نضالية، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس، 2013، ص 187.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- الرفع من المستوى الاجتماعي والفكري للشعب عبر إقرار التعليم الإلزامي⁽¹⁾.

ركّز فرحات حشاد هنا على نقطة مهمة جدا وهي أنه لتحقيق هذه الأهداف وملاحظتها تتجسّد وتتحقّق على أرض الواقع، يجب إتباع سياسة التشغيل الكامل⁽²⁾، وذلك بوضع مخطّط عام للتجهيز يلبي حاجيات العمال، وبضرورة انجاز برنامج أشغال كبرى يُوفّر التجهيزات الصناعية والمائية والصحية والتعليمية للبلاد⁽³⁾. كما طالب حشاد من خلال الاتحاد بأن الشعب التونسي له كامل الحق في تسيير واسترجاع سيطرته على المناجم والمواصلات والغاز والكهرباء والملاحة والبنوك والأبحاث البترولية ومصنع الإسمنت والأراضي الفلاحية⁽⁴⁾، وأن يقع تسيير هذه القطاعات بطريقة تضمن مساهمة العمّال.

مكّنت سياسة فرحات حشاد في الاتحاد، والتي تميز بها عن غيره من النضاليين في عهده وحتى من سبقوه أو جاؤوا من بعده، من تحقيق مكاسب كبيرة حصل عليها العمال التونسيون خلال حقبة طويلة من النشاط ضد الاستعمار الفرنسي. حيث عمل حشاد من خلال كل مؤتمر على بلورة برنامج اجتماعي اقتصادي يعبر عن مصالح الطبقة العاملة، وهذا ما برز جلياً من خلال المؤتمر الرابع للاتحاد الذي عقد مارس 1951⁽⁵⁾، حينما طرح برنامجا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، اعتبر من خلاله التحرر الوطني أداة للتحرر الاجتماعي، ومن هذه المكاسب نجد:

- تحسين شروط العمل والحياة للعامل⁽⁶⁾:

حيث ضمنت تشريعات الأجر التي طرحها فرحات حشاد في كل مؤتمر تقريبا وسعى لتحقيقها وتطبيقها، أنه لكل عامل مستوى يتناسب مع نوع عمله ومؤهلاته ومستوى الأسعار والأجور في

(1) عبد المجيد بالهادي، المرجع السابق، ص: 188.

(2) عبد السلام بن حميدة، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، المرجع السابق، ص: 135.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 107.

(6) المرجع نفسه، ص: 108.

المجتمع⁽¹⁾، كما سعى الاتحاد إلى تحقيق توازن صعب، يهدف الأول فيه إلى رفع مستويات المعيشة وزيادة الإنتاجية وتحسين توزيع الدخل بسبب التفاوت في توزيع المداخيل⁽²⁾، وفي نفس الوقت يهدف الثاني إلى خفض كلف الإنتاج وما يتضمنه ذلك من زيادة فرض الاستثمار، تشجيع الصادرات، تشجيع السياحة والإفادة من تدني الأجور، ذلك لتوطين الرأس المال الأجنبي⁽³⁾.

- تطوير قوة العمل وتوفيرها⁽⁴⁾:

يعد هذا مدخلا أساسيا لانجاز العمل وتحقيق أهدافه وهو يمكن أيضا من تحسين مستوى أداء العامل ويحسن دخله وتقوية انتمائه إلى عمله ومؤسسته⁽⁵⁾.

- ربط قضايا العمال مع قضايا التنمية⁽⁶⁾:

يشمل التنسيق والتوافق بين العمل والعمال وقضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بالتالي إستراتيجية التنمية وخطتها الشاملة⁽⁷⁾ ويستلزم ذلك دراسة شمولية تضم مختلف الميادين، أهمها ضرورة تحسين دخل العامل وظروفه الحياتية⁽⁸⁾ إلى جانب ضرورة تحسين العملية الإنتاجية ومتابعتها، وما يولده من فوائض تسمح باستمرار العملية الإنتاجية⁽⁹⁾.

وبهذه الطريقة تمكن فرحات حشاد من الربط بين المسائل الاجتماعية والمسائل الاقتصادية ارتباطا وثيقا، كما طالب حشاد بضرورة تغيير النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد، وذلك حسب

(1) مصطفى القلعي، العمل النقابي في تونس وعلاقته بالشعب وبالدولة، العرب، ع: 10051، 2015، ص9.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 109.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المرجع نفسه، ص: 113.

(7) مصطفى القلعي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، ص: 114.

(9) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

برنامج منسق يرمى من ورائه تحسين اقتصاد البلاد لا استثمار مواردها وعبادها. وبهذه السياسة تمكن فرحات حشاد من أن يكون له دور فعال في الاتحاد من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

كما سيبرز فرحات حشاد مرة أخرى ليكون في مقدمة النضال السياسي، ويكون له دور فعال في قيادة الجبهة السياسية، لأنه كان يؤمن دائماً بأن ضرورة الكفاح السياسي لتتعم البلاد بالرفاهية الاجتماعية والاقتصادية، حيث ورد في أحد المقالات المنشورة له أواخر سنة 1949 يقول فيها: " هل يكون للعمل النقابي معنى بدون الضمانات الأساسية للحريات التي يطمح إليها رجال العالم؟ وهل يمكن تحقيق الإنجازات الاجتماعية والاقتصادية لدى شعب لا ينعم بخيرات الديمقراطية؟ وكيف يمكن للحركة النقابية أن تتطور في بلد لا يوجد فيه ضمان للحريات الفردية والطبيعية؟"⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الدور السياسي الوطني.

إن تسييس المنظمة التي أسسها فرحات حشاد تم حسب مراحل واكبت تطور الوعي الوطني في صفوف العمال⁽²⁾، وعلى الرغم من أن حشاد قد انفصل عن الكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية بسبب سيطرة "تيار الفوضوية" أو ما يسمى أيضاً "بالنقابية الثورية" على الحركة النقابية الفرنسية ومحاولة تسييرها حسب أفكارها السياسية، إلا أن هذا لا يعني أنه ضد أي عمل سياسي تحت غطاء نقابي⁽³⁾، لأن التصريح بأي بعد سياسي للتنظيم الجديد في تلك الفترة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية سوف يعرضه للردع، في فترة اتسمت بضرب الأحزاب السياسية الوطنية التونسية باستعمال حجة التعامل مع قوى المحور⁽⁴⁾. لكن الأكيد في تلك الفترة أن فرحات حشاد لم يكن منظم لأي حزب سياسي تونسي رغم وجود وعي وطني لديه.

(1) سعد توفيق البزار، المرجع السابق، ص: 136.

(2) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 137.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

كان فرحات حشاد يؤمن بأن النضال السياسي هو وثيق الصلة بالنضال الاجتماعي، بل اعتبره الوسيلة الوحيدة التي يتمكن من خلالها التونسيين من تحقيق مطالبهم الاجتماعية وحتى الاقتصادية. لذلك فإننا نلاحظ بوادر التسييس في النشاط النقابي التونسي منذ تأسيسه، ويظهر ذلك خلال المؤتمر التأسيسي للاتحاد، حيث وقع في أوت 1946⁽¹⁾ إضراب ذو طابع سياسي واضح، وهو الإضراب الذي نظم احتجاجا على إيقاف بعض القادة السياسيين الذين ينتمون إلى حركات وطنية مختلفة غداة اللقاء الذي سُمّي " مؤتمر ليلة القدر " * المنعقد يوم 23 أوت 1946 ورفع خلاله شعار الاستقلال الوطني التام لتونس.

في 04 أوت 1947⁽²⁾، نظم فرحات حشاد الإضراب العام، الذي كان عبارة عن دليل واضح يعبر من خلاله العمال والشعب التونسي على ضرورة تحقيق الاستقلال، حيث أعلن عمال معمل الجلد في مدينة صفاقص إضرابهم، ذلك للمطالبة بحقوقهم النقابية⁽³⁾، وأدى ذلك إلى حدوث مواجهات دموية مع سلطات الاحتلال، راح ضحيتها العديد من العمال⁽⁴⁾، كما فكرت السلطات الفرنسية بحل الاتحاد العام التونسي للشغل بعد أن حملته مسؤولية كل الأحداث، وقامت بإيقاف العديد من قادة الاتحاد بالجهة⁽⁵⁾، وفي نفس الوقت كان حشاد متقطن للسياسة الاستعمارية، ففي سنة 1948⁽⁶⁾ حمل حشاد الاستعمار مسؤولية كل المصائب التي تعاني منها البلاد، إذ صرح بقوله: " أنظروا إلى ما حولكم تجدوا أيادي الاستعمار وراء كل نكبة من نكباتها "⁽⁷⁾.

(1) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 137.

* عقد هذا المؤتمر ليلة القدر بتاريخ 23 أوت 1946، حضره العديد من الهيئات السياسية والوطنية منها اللجنة التنفيذية والاتحاد العام التونسي للشغل وهيئة أساتذة الزيتونة... الخ، وكان الغرض من هذا المؤتمر هو إعلان المطالبة بالاستقلال التام لتونس وهذا ما اتفق عليه جميع الحاضرون. أنظر/ في ذكرى مؤتمر ليلة القدر، جريدة الاستقلال، ع: 8، 1956، ص: 41.

(2) حمة الهمامي، المرجع السابق، ص: 48.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 91.

(4) المرجع نفسه، ص: 92.

(5) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

حرص فرحات حشاد منذ تأسيسه للاتحاد العام التونسي للشغل على إقامة علاقات طيبة مع كل القوى السياسية التي تساهم بصفة أو بأخرى في حركة التحرر الوطني⁽¹⁾. فقد انظم إلى المنظمة النقابية التونسية الأجراء المنتمون إلى الحزب الدستوري الجديد والحزب الدستوري القديم وأساتذة جامع الزيتونة وغيرهم من الشخصيات السياسية التونسية المختلفة⁽²⁾، باستثناء الشيوعيين وذلك نظرا للخلاف القائم بينهم منذ انفصال حشاد عن الكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية بسبب الخلاف حول الأفكار.

واصل فرحات حشاد نشاطه السياسي الذي يطالب من خلاله بتصفية الاستعمار وقطع أي رابطة أو صلة قد تربط بين البلدين، لأن سياسة الاستعمار واحدة والهدف من ورائها واضح، وهو استغلال البلاد ماديا وبشريا، لذلك واصل حشاد حملة الإضرابات التي بدأها منذ تأسيس الاتحاد العام، من أهمها الإضراب الذي شَنَّ يوم 23 نوفمبر 1950⁽³⁾ احتجاجا على القمع الاستعماري ضد العمال، حيث قرر عمال شركة الفلاحين الفرنسية بمنطقة النفيضة الإضراب العام مطالبين بحقوقهم النقابية كعمال زراعيين⁽⁴⁾، فكانت ردة فعل هذه الشركة الرفض لمطالب العمال المتظاهرين، كما قامت بالاستتجاد برجال الشرطة والجيش الفرنسي، فوقع صدام عنيف حصدت فيه قوات الاحتلال عشرات العمال⁽⁵⁾، ولم تكتفي بعمال النفيضة فحسب بل امتدت يدها إلى سوق الخميس وزغوان، حيث واجهت إضرابات العمال بقمع وحشي سقط على إثره شهداء كثيرون تحت ضربات الاستعماريين⁽⁶⁾، فكان هذا بسبب تضامن الشعب التونسي مع العمال المضربين.

(1) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 137.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 93.

(4) الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص: 203.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، ص: 94.

كانت ردة فعل فرحات حشاد على أثر هذا الحدث بأن صعد في لهجته وصرّح من خلال المؤتمر الرابع للاتحاد في مارس 1951⁽¹⁾ بقوله: " سيصبح النشاط النقابي متصلاً أكثر بالنضال الوطني الذي تخوضه الشعوب ضد كل نزاعات الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية "⁽²⁾، وقبل هذا رد حشاد على ما وقع نتيجة إضراب النفيضة بخطاب جاء تحت عنوان " أحبك يا شعب " عبر من خلاله عن حبه للشعب التونسي، وعن إعجابه الشديد بشجاعته وبتضامنه وتعاونيه وإتحاده مع بعضه البعض وقت المحن والشدائد، حيث جاء في مستهل خطابه: " أحبك يا شعب تونس الذي امتحنك الدهر وامتحنته فعرف فيك الشجاعة مع الإخلاص وعرف فيك الصبر مع المثابرة. أحبك لما فيك من شعور فيّاض وإحساس نبيل ولما تكنه من عواطف عند النكبات ومن تأخ عند المحن، وأحب فيك الإقدام عند اقتحام الشدائد وبذل الجهد المستطاع لانتشال الضعيف عند الحاجة "⁽³⁾.

زاد نشاط فرحات حشاد السياسي وأصبح أكثر حدة وصرامة في تعامله مع سياسة السلطات الاستعمارية، حيث رفض مقابلة مبعوث الرئيس الفرنسي ديغول⁽⁴⁾، وكان في نفس الوقت فشل المفاوضات بين حكومة شنيق والحكومة الفرنسية في كانون الأول 1951⁽⁵⁾ والتي كانت تدور حول مستقبل ومصير الشعب التونسي الذي كان متمسك بالاستقلال التام لبلاده، كما رافقت هذه الأحداث تطور الوعي الوطني للأعداد الكبيرة من العمال والموظفين التي انضمت للاتحاد⁽⁶⁾ حيث كان الاتحاد التونسي خير ناطق عن المصالح المادية والمعنوية، كما أنهم اقتنعوا بتصريحات

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 94.

(2) خطاب فرحات حشاد خلال المؤتمر الرابع للاتحاد، المرجع السابق، ص: 05.

(3) فرحات حشاد: أحبك يا شعب، جريدة الحرية، ع: 138 ، 26 نوفمبر، 1950.

(4) سعد توفيق البزاز، المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

(5) شوقي بن حسن: النقابة في تونس، مركز إفريقية للدراسات والبحوث السياسية، ع: 24536، 2014، ص: 06.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

حشاد حين قال: " إن سعادة الطبقة الشغيلة مقترنة بسعادة الوطن وبراحته، ولا يمكن تحقيق الازدهار الاجتماعي تحت نفوذ النظم الاستعمارية وضغطها على الطبقة العاملة"⁽¹⁾.

يعتبر أكبر نشاط سياسي قام به فرحات حشاد وجمع على إثره بين العمل النقابي والعمل السياسي الوطني، حينما تحمل مسؤولية القيادة المباشرة في عمليات الكفاح الوطني والحركة الوطنية، وذلك على إثر انتفاضة 19 جانفي 1952⁽²⁾، بعدما قامت السلطات الاستعمارية بحملة اعتقالات شملت العناصر الوطنية والقيادية، مما دفع حشاد إلى تسخير كل إمكانيات الاتحاد إلى حمل السلاح ضد الاستعمار⁽³⁾، وتكونت نتيجة لذلك خلايا سرية داخل المدن والقرى لضرب عملاء الاستعمار وتصفية العناصر العميلة والمتعاونة مع الاستعمار وضرب مصالحه⁽⁴⁾، كما كثّف حشاد اتصالاته بالكونفيدرالية العامة للنقابات الحرة وذلك لجلب التأييد العالمي⁽⁵⁾، فأخرج بذلك السلطة الفرنسية التي لم تتجرأ على إلقاء القبض عليه تجنباً للمضاعفات العالمية المرتفعة نتيجة اتخاذ قرار من هذا القبيل⁽⁶⁾.

عندما أحست السلطات الاستعمارية أنها وصلت إلى طريق مسدود وأن سياستها الاستعمارية القمعية لن تحل الوضع بل ستزيد من حدته، قررت تغيير أسلوبها وسياستها وعادت إلى أسلوب المناورات، حيث قدم وزير الخارجية الفرنسي خطة إصلاحية بادر حشاد برفضها قبل تقديمها رسمياً للباي⁽⁷⁾، وذلك لأنها لا تضيف أي جديد بالنسبة لمستقبل تونس بل كل ما فيها هو تكريس للهيمنة الاستعمارية⁽⁸⁾، ومن هنا كانت ردة فعل السلطات الاستعمارية بأن قامت باغتيال فرحات

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 94.

(2) المرجع نفسه، ص: 95.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 138.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، ص: 139.

(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

حشاد، لأنها رأت في الاغتيال الطريقة الأنجع للتخلص من هذه الشخصية التي لطالما مثلت حجر عثرة في طريق فرنسا لتحقيق مصالحها في تونس، وكان ذلك بتاريخ 05-12-1952⁽¹⁾.

على الرغم من اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد، إلا أن الحركة النقابية لم تفقد بريقها وعزيمتها في القضاء على الاستعمار ومخلفاته، وذلك يعود للجهود الجبارة والدور الكبير الذي قام به فرحات حشاد، من أجل ترسيخ مبادئ وأهداف الاتحاد في نفوس العمال والشعب التونسي وجعلها الاهتمام الأول الذي يجب أن يكون من أولوياتهم وفي مقدمة طموحاتهم، لذلك خاض الاتحاد مسيرة الكفاح الوطني بكل عزيمة وبكل روح حماسية إلى غاية حصوله على الاستقلال وطرده الاستعمار سنة 1956.

بعد اغتيال حشاد تولى الأمانة العامة للاتحاد أحمد بن صالح، وسار في الطريق نفسه الذي سار عليه فرحات حشاد حتى استقلال البلاد. وساعدت الظروف التي كانت تعيشها تونس في تلك الفترة الوطنيين التونسيين على نيل استقلالهم، والتي في مقدمتها كفاح التونسيين أنفسهم ضد المحتل الفرنسي بكل الوسائل المتاحة والمتوفرة لديهم، بعد مناداة فرحات حشاد بضرورة إخراج المحتل الغاصب بالقوة، فبدأت المقاومة التونسية المسلحة في 1952⁽²⁾، وغيرها من الظروف الخارجية الأخرى التي كانت في صالح التونسيين والقضية التونسية، منها قيام الثورة في المغرب الأقصى 1943 وفي الجزائر 1954 والهزيمة التي منيت بها فرنسا في معركة ديان بيان فو، والتي كانت بمثابة الضربة القاضية لفرنسا الاستعمارية التي كان ينظر لها بأنها الأسطورة التي لا تهزم ولا تسقط، كل هذه الظروف كانت في صالح الوطنيين التونسيين من أجل الاستمرار على الطريق الذي خطه ورسمه لهم فرحات حشاد، لتكون النتيجة في النهاية نيل الاستقلال والتمتع بالحرية.

(1) عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال تونس، المرجع السابق، ص: 139.

(2) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 98.

المبحث الثاني: نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل في الخارج.

كان فرحات حشاد يؤمن دائما بضرورة العمل على أساس توعية العمال والشعب بضرورة إسماع صوت الشعب التونسي للعالم، وأنه يجب أن يكونوا على علم بأن هناك شعب عاش منذ بداية تاريخية وهو ينعب في كنف الحرية والاستقلال، وهذه الحرية اليوم سُلبت منه وتحولت إلى ظلم واستعباد واستغلال لخيراته المادية والبشرية، وأنه حان الوقت لاسترجاع هذه الحرية وطرد المستعمر وقطع أي صلة تربط هذا الشعب بهذا الاستعمار، والعمل على إعادة بناء ما هدمه الاستعمار على أساس القيم والمبادئ التي نص عليها الإسلام.

لذلك تحمل فرحات حشاد هذه المسؤولية، وبدأ منذ تأسيس الاتحاد بإقامة علاقات خارجية يضمن من خلاله طرح القضية التونسية وإسماع صوت التونسيين للعالم، ذلك من خلال انضمامه لمنظمة النقابات الحرة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك كان دائما يدعم ويشجع فكرة تحقيق نقابات يحقق من خلالها العالم العربي مشروع الوحدة، من خلال إقامة علاقات طيبة مع العديد من الدول العربية والتي أثمرت بنتائج جيدة سنتعرف عليها فيما بعد، ومن الطموحات الكبيرة التي سعى حشاد لتحقيقها هي مشروع الوحدة للمغرب العربي واعتبرها ضرورة جدا للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية والقضاء على جميع مخططاتها.

وهذا ما سنتعرف عليه من خلال هذا المبحث، حيث سنتطرق للحديث عن نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل مع دول المغرب العربي والتعرف على أهم الانجازات التي قام بها وإلى أي حد وصل مشروع الوحدة والتضامن بين أقطار المغرب العربي، كما سنذكر نشاطه مع الدول العربية منها مصر وموقفه من القضية الفلسطينية، أخيرا سنتعرف على نشاطه العالمي وإلى أي مدى تمكن الاتحاد من إثبات وجوده في المنظمة العالمية للنقابات الحرة؟ خاصة وأن فرحات حشاد كان حريصا جدا ومتحمسا للانضمام لهذه المنظمة والمشاركة فيها.

المطلب الأول: نشاط الاتحاد في المغرب العربي (1946-1956).

كان فرحات حشاد من أوائل الذين دعوا للوحدة بين أقطار المغرب العربي، وحاولا جاهدا جعل هذا المشروع طموح كل عامل من عمال المغرب العربي، مهما كانت نوعية عمله فالمهم هو الوحدة والتضامن تحت إطار نقابي واحد له نفس الأهداف ويقوم على نفس المبادئ، وقد دعا فرحات حشاد لهذه الفكرة خلال إلقاء خطاب له أمام طلبة شمال إفريقيا في باريس في 20 ديسمبر 1946⁽¹⁾ جاء فيه: " إن العمل اليومي لمنظمة نقابية في النطاق المحلي محتاج أيضا إلى الاعتماد على وحدة عمل جميع منظمات البلاد ذات الخطوط المشتركة في ميادين حياة الآخرين. وأعني بذلك توحيد الحركة النقابية بشمال إفريقيا... ولا مجال للشك يا إخوتي في أن حظ يلدان شمال إفريقيا الثلاث مشترك ووثيق الارتباط وقضيتها واحدة على وجه الإطلاق وعلى هذا يجب إحكام عقد الرباط الأخوي المتين الذي يربط بين الطبقة العمالية في الأقطار الثلاثة في إطار جامعة نقابية شمال إفريقية⁽²⁾."

تعود الخطوة الثانية للنشاط السياسي التي باشر بها فرحات حشاد من خلال الاتحاد العام التونسي للشغل لهدف تحقيق مشروع الوحدة للحركات النقابية المغاربية إلى سنة 1947⁽³⁾، حيث أكد حشاد في بيان مؤتمر الاتحاد العام التونسي للشغل على ضرورة توحيد أقطار المغرب العربي بإضافة ليبيا إلى الخارطة السياسية للمنطقة*، كما أنه وجه نداء باسم الاتحاد العام التونسي للشغل إلى كافة العمال المغاربة يدعوهم من خلاله لضرورة التضامن بين جميع أقطار المغرب العربي جاء فيه: " إن حظ شغالي إفريقيا الشمالية مشترك فهم يشتركون في نفس الآلام ويقاومون

(1) خطاب فرحات حشاد أمام طلبة شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص: 251.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المختار الطاهر كرفاع: النضال السياسي للنقابات العمالية في المغرب العربي 1947-1961، جريدة ستار تيمز، ع: 377، 2015، ص: 03.

* بعدما كان مصطلح المغرب العربي قبل هذا التاريخ يقتصر على تونس والجزائر والمغرب الأقصى، وهو ما نرى فيه دلالة على أن شعوب المنطقة نجحت في العودة إلى هويتها الوطنية والقومية رغم كل الجهود التي بذلها الاستعمار لطمس تلك الهوية. أنظر/ المختار الطاهر كرفاع، المرجع نفسه، ص: 03.

نفس الأعداء ولذلك لن يتسنى لهم النجاح إلا بتحقيق وحدتهم واشتراكهم في بذل ما لديهم من القوى وإخلاصهم في سبيل انتصار قضيتهم المشتركة. ولذا فإن الاتحاد العام التونسي للشغل يوجه نداءه إلى كافة الشغاليين في الشمال إفريقيين، لينضموا داخل نقابات مستقلة بجميع أنحاء الجزائر والمغرب و ليبيا⁽¹⁾.

كان لهذه الخطابات الرنانة التي ألقاها الزعيم النقابي فرحات حشاد على العمال في المغرب العربي أثر كبير في نفوسهم، فبدورهم آمنوا بفكرة الوحدة بين المغاربة في الإطار النقابي، حيث تبلور ذلك في تضامن عمال المغرب مع العمال التونسيين أثناء الإضراب الدامي الذي وقع بسبب الصدامات بين العمال التونسيون والقوات الفرنسية في صفاقص وكان ذلك سنة 1947⁽²⁾، حيث عبر عمال المغرب عن ذلك برفع برقية للاتحاد العام التونسي للشغل معلنين احتجاجهم الشديد ضد تدخل القوات الفرنسية لإفشال ذلك الإضراب⁽³⁾.

حرص فرحات حشاد من خلال كل خطاب كان يلقيه على العمال المغاربة وفي كل مؤتمر كان يقوم به الاتحاد العام التونسي للشغل على دعوة العمال للوحدة والتضامن وضرورة تنسيق الأعمال النقابية في المغرب العربي⁽⁴⁾، وهذا ما أكده من خلال المؤتمر الثالث للاتحاد سنة 1949⁽⁵⁾ الذي وضح من خلاله أن هدف الاتحاد هو خلق أرضية لالتقاء النقابيين التونسيين والجزائريين والمغاربة والليبيين في سبيل خوض نضال مشترك عن طريق وحدة العمل بين أقطار المغرب العربي كافة⁽⁶⁾، وذلك بالدفاع عن مصالح الطبقة العاملة فيها وتوحيد صفوفها لمواجهة الاحتلال.

(1) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 124.

(2) المرجع نفسه، ص: 126.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، ص: 127.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المرجع نفسه، ص: 128.

تأكيدا على هذا النشاط السياسي للاتحاد العام التونسي للشغل، وبحكم المرحلة التي يعيشها كمرحلة كفاح ضد الاستعمار بكل صوره وتلاحمه النضالي مع الأشقاء في منطقة المغرب العربي، وجه الاتحاد دعوة إلى قادة الحركات النقابية في كل من الجزائر والمغرب وليبيا، وذلك لحضور المؤتمر الرابع للاتحاد العام التونسي للشغل في ماي 1951⁽¹⁾، بمناسبة عيد العمال العالمي حيث جاء على لسان أمينه العام فرحات حشاد ما يلي: " إن لقاء قادة الحركات النقابية في كل من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب هو بمثابة عيد للوحدة المغربية والتحرير، فبهذا العيد يحتفل الشعب الجزائري والشعب المراكشي وشعب طرابلس لإقامة الدليل على أنها شعوب متحدة المرمى والأهداف ومستعدة للقضاء على الاستعمار المشترك"⁽²⁾.

شكل تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في جانفي 1948⁽³⁾، التي انضم إليها كل الزعماء المغاربة، خطوة مهمة في وحدة عمل الأحزاب الوطنية المغربية. لهذا لم يكن الاهتمام الذي أولاه فرحات حشاد للبلدان المغربية حدثا جديدا⁽⁴⁾. إلا أن التوجه والمحتوى اللذين كان فرحات حشاد يطمح إلى أن يطبع بهما عمله، لم يكونا فقط متميزين، بل كان لهما محتوى وطابعا طبقيا واضحا⁽⁵⁾، فقد كانت الطبقات العاملة المغربية خاضعة لنفس الهيمنة السياسية، ولنفس الاستغلال الاقتصادي الذين كان يمارسهما نفس الاستعمار الفرنسي. فنظرا لتقدم الحركة العمالية التونسية وقوتها وتنظيمها بالنسبة لباقي بلدان لمغرب العربي، فإن فرحات حشاد كان عليه أن يستخلص النتائج التي كان يفرضها الواقع الموضوعي المغربي⁽⁶⁾، وذلك بضرورة إرساء تنظيم نقابي مغربي قادر على النضال بفعالية ضد الرأسمالية والنظام الاستعماري الفرنسي.

(1) المختار الطاهر كرفاع، المرجع السابق، ص: 04.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) شكيب أرسلان: حول تاريخ الحركة النقابية بالمغرب: الإتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب 1943-1952، مجلة

فصيلة، ع: 13، السنة 04، 1986، ص: 27.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بعد كل هذا النشاط غدا البعد المغاربي في فكر الاتحاد العام التونسي للشغل وعمله واضحا وبلغ أوجه، حيث وقع إضراب عام قام به الاتحاد التونسي احتجاجا على القمع الفرنسي في المغرب الأقصى⁽¹⁾، فأكد الاتحاد العام التونسي للشغل هذا الاتجاه التوحيدي على لسان زعيمه فرحات حشاد خلال المؤتمر الرابع إذ قال: "إن الوحدة المغربية شيء واقعي وعميق لا جغرافي فقط، وإنما وحدة في المصاب الذي سلطه الاستعمار على الأقطار المغلوبة على أمرها، ووحدة الكفاح المجيد في سبيل الحرية والعدل في العمل الذي سيقضي في نهاية الأمر بفضل جهاد الشعوب المغربية وتضحياتها إلى الفوز بحياة العزة والكرامة"⁽²⁾.

واصل الاتحاد العام التونسي للشغل كفاحه الوطني ودعمه لمشروع الوحدة العربية ومساندة جميع دول المغرب العربي والتضامن معها، وحتى بعد اغتيال الزعيم فرحات حشاد، لم يفقد الاتحاد التونسي عزيمته وإصراره بل واصل نضاله بنفس الوتيرة التي عهدتها العمال على عهد حشاد، حيث استمر في تقديم الدعم لقضايا المغرب العربي، ومن ذلك دعمه الكبير للقضية الجزائرية، حيث وجدت الثورة الجزائرية التي اندلعت في أول نوفمبر 1954⁽³⁾ مساندة ودعم وتأيد داخلي وخارجي من قبل الاتحاد العام التونسي للشغل، كما أدان الاتحاد التونسي للشغل القرار الذي اتخذته الحكومة الفرنسية والمتمثل في إعلان حالة الطوارئ بالجزائر بعد مصادقة البرلمان الفرنسي⁽⁴⁾، فأصدر التصريح التالي: "... إن إعلان حالة الطوارئ في الجزائر يعتبر حقا أخطر الحوادث التي وقعت منذ ابتداء الحوادث في شهر نوفمبر 1955. وستجتاز الجزائر الشقيقة مرحلة من الشدة نعرف جيدا مقدار ثقلها وكابوسها ... ونحن لا يسعنا إزاء هذا الحادث الخطير إلا أن نعلن مقتنا الشديد لأساليب التعسف التي تتبعها السياسة الاستعمارية. وإنا نعلن لإخواننا

(1) سعد توفيق الباز، المرجع السابق، ص: 129.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) حبيب حسن اللولب: التونسيون والثورة الجزائرية، دار السبيل للنشر، الجزائر، 2009، ج 01، ص: 194.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الجزائريين في هذه الظروف الشديدة التي يتجاوزونها عن عميق تمنياتنا وأن يتجاوزوا هذا الظرف العصيب لما عرفوا به من قوة الصبر والمجادلة حتى ينبثق الفجر⁽¹⁾.

حضيت القضية الجزائرية كغيرها من قضايا العالم العربي بالدعم والمساندة من قبل الاتحاد العام التونسي للشغل، حيث كان الاتحاد يعتبر القضية الجزائرية قضيته، ويظهر ذلك من خلال اجتماعاته التي ما فتكت تتطرق إلى أوضاع أهالي الجزائر والجرائم التي يتعرضون إليها من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي⁽²⁾. كما أكد المؤتمر السادس للاتحاد التونسي موقفه تجاه القضية الجزائرية حيث جاء في مقدمة تقرير المؤتمر: " كفاح الجزائر كفاحنا القومي وانتم على علم بموقف الشعب التونسي بأسره والاتحاد من ضمنه إزاء كفاح الجزائر الباسلة فالتأكيد مطلق في جميع الميادين في الداخل و الخارج⁽³⁾".

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها الاتحاد العام التونسي للشغل من خلال الدعوات والمواقف المغربية لتحقيق وحدة القوى العاملة في أقطار المغرب العربي وإنشاء جامعة موحدة لهم والدعوة لوحدة المغرب العربي، فإن ذلك لم يتحقق⁽⁴⁾، وجاءت المرحلة الاستقلالية في تونس 1956⁽⁵⁾ لتكشف عن أبعاد أخرى، وبالرغم أيضا أن مشروع حشاد في وحدة المغرب العربي لم يتحقق إلا أنه حقق العديد من الأهداف في مرحلة الاستعمار، وأهم نقطة حققها هذا المشروع هو إرباك السلطات الفرنسية التي أصبحت متخوفة من وحدة أقطار المغرب العربي.

أما فيما يخص العلاقة مع ليبيا فإنه على الرغم من قلة المصادر التي تحدثت عن العلاقات النقابية بين عمال ليبيا وتونس، لكن المؤكد أنه كان هناك اهتمام شديد من قبل فرحات حشاد تجاه

(1) حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص: 194-195.

(2) المرجع نفسه، ص: 195.

(3) سعد توفيق البزاز، المرجع السابق، ص: 134.

(4) المرجع نفسه، ص: 135.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ليبيا⁽¹⁾، التي يمكن من خلالها أن يؤدي دورا في توحيد الحركة النقابية العمالية في الوطن العربي عن طريق الجامعة العالمية للنقابات الحرة⁽²⁾، حيث أيد حشاد اللائحة الخاصة بتكوين منظمة تابعة للجامعة في منطقة الشرق الأوسط، مطالبا إياها بجميع أقطار المغرب والشرق العربي عن طريق ليبيا⁽³⁾، وخاصة بعد حصول ليبيا على استقلالها السياسي عام 1952⁽⁴⁾، وقد أكد حشاد عن استعداد منظمته لأن تساعد في انجاز مهمته في ليبيا والشرق العربي، وتقديم الدعاية النقابية والوفود في تلك المناطق التي يحتاج إليها العمال العرب لتنظيم أنفسهم⁽⁵⁾، من أجل تحقيق كطالبهم الاجتماعية وتحسين ظروف عملهم وحياتهم التي يطمحون إلى تحقيقها.

المطلب الثاني: نشاط الإتحاد في المشرق العربي 1946-1956.

من بين الجهات التي عمل فرحات حشاد على أن تكون بينه وبينهم علاقات طيبة تتمحور في التعاون والتضامن والاتحاد المشترك من أجل النهوض بالأوضاع التي يعاني منها العالم العربي وتحسينها، نجد علاقاته الجيدة مع دول المشرق العربي والتي بدأ للدعوة لها منذ البدايات الأولى للاتحاد العام التونسي للشغل، حيث نجد أن هناك علاقات طيبة بين عمال القطرين التونسي والمصري نتيجة للرابط الديني والقومي والوطني الذي يربط بينهما⁽⁶⁾، في نفس الوقت تناول النضال من أجل الاستقلال والنهوض بالمستوى الاجتماعي للعمال في كلا البلدين⁽⁷⁾، وقد توطدت العلاقات بين الطرفين أكثر وتوصلت بعد المؤتمر التأسيسي للجامعة النقابية العالمية بباريس في

(1) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، مجلة كلية التربية الأساسية، ع: 13،

جامعة الموصل، 2013، ص: 462.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 140.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

25 أيلول 1945⁽¹⁾، وجرّت خلال المؤتمر اتصالات ولقاءات لتنسيق العمل والمواقف وسبل تطويرها.

أبدى الاتحاد العام التونسي للشغل منذ تأسيسه اهتماما كبيرا بالحركة النقابية المصرية، حيث اهتم مركز البحوث الاقتصادية والنقابية التونسي*، بالبحث في تاريخ الحركة النقابية المصرية، كما وقف الشعب المصري إلى جانب التونسيين لمحاولة مساعدتهم في أزمة المجاعة التي مرت بها تونس سنة 1947⁽²⁾، حيث أرسلت مصر باخرة محملة بالقمح لتونس، لكن السلطات الفرنسية منعتها من إنزال حمولتها وأمرت بإعادتها لمصر⁽³⁾، وفي المقابل أيضا قام التونسيون بمساندة إخوانهم المصريين إثر تعرضهم لوباء الكوليرا، حيث قامت الجامعة الوطنية للصحة التابعة للاتحاد بالذهاب لمصر والمشاركة معهم لمحاربة هذا الوباء⁽⁴⁾.

من بين الدعم الكبير الذي قدمه الاتحاد العام التونسي للشغل للحركة النقابية المصرية والشعب المصري، هو مساندته في نضاله ضد الانجليز والوقوف ضدهم، كما أن الاتحاد التونسي ساعد النقابة المصرية من خلال قبولها في الجامعة النقابية العالمية⁽⁵⁾، ونتيجة للقمع الذي تعرضت له النقابة المصرية وحرمانها من حق ممارستها لحقوقها من قبل الاستعمار الانجليزي أدان حشاد الحكومة البريطانية مما يعانيه عمال الشعب المصري من اضطهاد وقمع السلطة⁽⁶⁾،

(1) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، المرجع السابق، ص: 462.

* أنشأه الاتحاد العام التونسي للشغل في نهاية عام 1946، في جميع المدن الكبرى بالقطر التونسي، وكان ينظم محاضرات نقابية تتناول موضوعات مختلفة.

(2) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 136.

(3) المرجع نفسه، ص: 137.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، المرجع نفسه، ص: 463.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

وحين نظمت منظمة الأمم المتحدة مؤتمرها الاجتماعي في القاهرة سنة 1950⁽¹⁾، رحب به حشاد وأصر على حضوره والمشاركة فيه لكن السلطات الفرنسية منعت من ذلك ووقفت في طريقه.

استمرت العلاقة الطيبة بين القطرين حتى بعد انفصال الاتحاد العام التونسي للشغل عن الجامعة النقابية العالمية وانضمامه للجامعة العمالية للنقابات الحرة⁽²⁾، لكن الملاحظ بين عامي 1953 و1954 هو تراجع في العلاقة بين الطرفين⁽³⁾، وذلك راجع للوضع الداخلي الذي تمر به كلا الطرفين، حيث كانت تونس تمر بأزمة داخلية في الاتحاد بعد اغتيال زعيمه حشاد، وأيضا بانشغاله بالمفاوضات حول الاستقلال⁽⁴⁾، أما في مصر فكانت هي بدورها تعيش حالة من التوتر بينها وبين الانجليز⁽⁵⁾.

أما فيما يخص علاقة الإتحاد أو نشاطه مع فلسطين والشعب الفلسطيني، فالملاحظ هنا أن القضية الفلسطينية مثلت الاهتمام الأول الذي آمن به الاتحاد، حيث لم تكن القضية الفلسطينية بالنسبة للاتحاد وخاصة زعيمه حشاد هي قضية الشعب الفلسطيني فحسب وإنما هي قضية الأمة الإسلامية كافة، وما فتئ الإتحاد التونسي يدافع عن القضية الفلسطينية من خلال استغلال كل فرصة تتاح أمامه حتى يطرح من خلالها موقفه من الاحتلال الصهيوني، ويدعو الشعوب لمساندة إخوانهم الفلسطينيين ورفض تقسيم فلسطين وإقامة ما يسمى بالوطن القومي لليهود.

فقد شهدت فلسطين الانتفاضة المسلحة من 1936 إلى 1939⁽⁶⁾، فتأسست على إثر ذلك جامعة الدول العربية في 03 سبتمبر 1944⁽⁷⁾، التي استغلها الإتحاد العام التونسي للشغل للدعوة

(1) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946 - 1956، المرجع السابق، ص: 463.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 139.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) أحمد الكحلوي: العمل النقابي التونسي في سياق التحرر العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص: 07.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

من خلال منبرها على ضرورة وقوف العرب يد واحدة مع إخوانهم الفلسطينيين ودعمهم في قضيتهم⁽¹⁾، بعد ذلك صدر قرار التقسيم الذي رفضه العرب في اجتماعهم في " بلودان " السورية سنة 1946⁽²⁾، كما رفضه الاتحاد التونسي، حيث لم يسكت عن قرار الأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني 1947⁽³⁾، الذي أقر تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، حيث أعلن الاتحاد عن إضراب عام دام 3 أيام تضامنا مع الشعب والعمال الفلسطينيين، لم تتمكن السلطات الفرنسية من إيقافه وإفشاله⁽⁴⁾، وبالإضافة لذلك شارك الاتحاد العام التونسي للشغل في المؤتمر الإسلامي الذي عقد سنة 1947⁽⁵⁾ في تونس، حيث أكد حشاد من خلاله تضامنه مع عمال فلسطين وأبدى استيائه لصدور قرار التقسيم.

لم يكتفي دعم الاتحاد للقضية الفلسطينية والعمال الفلسطينيين من خلال الخطابات والدعوة للتضامن معهم فقط، بل تعداه إلى أكثر من ذلك، حيث شارك الاتحاد إلى جانب العرب في الحرب العربية الفلسطينية ضد الصهاينة، التي اندلعت في 1948⁽⁶⁾، حيث شارك إلى جانب الجيوش العربية عدد كبير من العمال والشعب التونسي الذين أرسلهم الاتحاد⁽⁷⁾، وهنا تجلت مشاركة العمال التونسيين الفعلية سواء بالتضامن مع أبناء شعبهم أو بإرسال المتطوعين للقتال ونصرة أبناء شعبهم الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني الغاصب لأرض وحرية هذا الشعب.

(1) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 141.

(2) أحمد الكحلوي: العمل النقابي التونسي في سياق التحرر العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص: 07.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع نفسه، ص: 142.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) أحمد الكحلوي: العمل النقابي التونسي في سياق التحرر العربي الإسلامي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

منذ سنة 1949⁽¹⁾، حدث تغير كبير في طبيعة العلاقة بين الاتحاد التونسي والشعب الفلسطيني، وربما يعود ذلك إلى هزيمة 1948⁽²⁾، أو عدم حصول التونسيين على الدعم من جامعة الدول العربية⁽³⁾، أو أسباب أخرى كلها أدت إلى فتور العلاقة بين الطرفين، حيث أنه طوال هذه المدة أي إلى غاية 1956⁽⁴⁾ لم تكن هناك أية اتصالات بين قادة الاتحاد العام التونسي للشغل والحركة النقابية الفلسطينية، وذلك راجع أيضا لانشغال الإتحاد التونسي بقضايا بلاده وأيضا تلاشي ما يسمى بالحركة النقابية الفلسطينية⁽⁵⁾، لكن في هذه الحالة الشيء الأكيد والواضح هو أن الاتحاد التونسي سعى بكل جهوده للوقوف إلى جانب العمال والشعب التونسي، وحاول دعم القضية الفلسطينية واعتبرها قضية الإسلام والعرب كافة.

المطلب الثالث: نشاط الإتحاد العالمي (1946-1956).

كان فرحات حشاد يؤمن بأن التحرر الاجتماعي مرهون بالتحرر من الهيمنة الاستعمارية، ويرى أنه من مهام الحركة العمالية هو تحرير الشعوب من الاستعمار، ذلك من خلال انطلاق دعوته للنضال المشترك ضد الامبريالية والنضال من أجل الاستقلال⁽⁶⁾، حيث نلاحظ أن الاتحاد العام التونسي للشغل ساهم في حركات السلم العالمية وفي سنة 1949⁽⁷⁾ برزت العديد من التحركات النضالية المشتركة وكان الالتقاء في صلب الفدرالية النقابية العالمية، كما أن التضامن الدولي كانت له دوافع سياسية⁽⁸⁾، وقد اعتبر حشاد أن حرية الشعوب تطرح عبر التنظيم النقابي الدولي حيث تساءل حشاد في أحد النصوص التي كتبها يقول: "ما هي قيمة انجازات اقتصادية

(1) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 143.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، المرجع السابق، ص: 464.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) سعيدة بوهلال: الزعم فرحات حشاد والتضامن العمالي الوطني والدولي، جريدة الصباح، [د-ع]، نشر 07-12-2007.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

واجتماعية لدى شعب محروم من الديمقراطية والحريات الفردية⁽¹⁾، كما دعا لضرورة التمسك بالدفاع عن الديمقراطية واعتبر أن العمل النقابي مرتبط بمسألة السلم في العالم.

لهذا قرر الاتحاد العام التونسي للشغل المتمثل في شخص زعيمه فرحات حشاد الانفصال عن الاتحاد النقابي العالمي (F.S.M) والانخراط في الاتحاد العالمي للنقابات الحرة (S.I.S.L) سنة 1951⁽²⁾، بعدما تحول الاتحاد النقابي العالمي إلى أداة لخدمة المصالح الاستعمارية، وعدم موافقة الشركات الاستعمارية على حق الإضراب وعدم تحقيقه لأي مطلب من مطالب الاتحاد العام التونسي للشغل⁽³⁾، كما أكد فرحات حشاد من خلال أحد التقارير أن الانضمام للاتحاد العالمي للنقابات الحرة ليس خياراً أيديولوجياً وهو ليس اختياراً للمعسكر الغربي ضد المعسكر الشرقي، بل هو وليد اعتبارات عدة، نظراً لأن التضامن الدولي أصبح غير ممكن⁽⁴⁾، لذا كان لا بد من البحث عن المنظمة التي تعطي أكثر حرية وأكثر ضمانات، كانت أمريكا في ذلك الوقت تساند حق الشعوب في تقرير مصيرها.

بعد قبول انخراط الاتحاد العام التونسي للشغل في السيزل أنتخب فرحات حشاد عضواً في لجنته التنفيذية⁽⁵⁾، وقد حدد حشاد أهميتها بالقول: " إن السيزل ... موجودة في كل مكان عن طريق تنظيماتها المنتشرة في أوروبا وأمريكا وآسيا وفي غيرها من الأماكن، وهي توصل صوت العمال حتى إلى منظمة الأمم المتحدة وتنسق مع اليونسكو مباشرة وبصورة نشيطة من أجل نشر برامج التعليم العام، المهني والاجتماعي عبر كل العالم، وهي تشارك باستمرار في أعمال المكتب الدولي للشغل بجنيف... كما أنها تهتم بصورة خاصة ببلورة مخططات النهوض

(1) سعيدة بوهلال، المرجع السابق.

(2) سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، المرجع السابق، ص: 465.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سعيدة بوهلال، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 145.

الاقتصادي التي تربط الأمم وتسهر على تنفيذها، وهكذا تصبح السيزل عاملا يحرك الحياة الدولية ويؤثر تأثيرا كبيرا على القرارات التي ترتبط بها مصير الإنسانية⁽¹⁾.

قرر حشاد أن يخوض نضاله في قلب العالم الغربي من خلال الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من أن الحرب الباردة كانت في أوجها، حيث حضر عام 1951⁽²⁾ مؤتمر النقابات الأمريكية (A.F.L.) الذي عقد في سان فرانسيسكو؛ حاول من خلاله طرح قضية العمال التونسيين والوضع الذي يعيشه الشعب التونسي كما طالب بإصلاحات ضرورية يجب أن تقوم بها الحكومة الفرنسية في تونس، وفي نيسان من عام 1952 قام حشاد قبيل اغتياله بزيارة ثانية للولايات المتحدة الأمريكية وأسهم إسهاما فعالا في توحيد الحركة النقابية الأمريكية.

ومن خلال المؤتمر الدولي لاتحاد التجارة الحرة الذي عقد في جوان 1952⁽³⁾، عرض من خلاله سياسة فرنسا تجاه العمل النقابي ووصفها بأنها سياسة عفا عليها الزمن، حيث جاء في مضمون حديثه، أن أولئك الذين يعارضون التقدم الحاصل في العمل النقابي في تونس يجب أن ينظروا في عواقب أفعالهم⁽⁴⁾، كما يجب أن يأخذوا في الاعتبار إرادة العامة التي ترغب في ممارسة رأي حر ديمقراطي، ويجب التخلي عن سياسة عفا عليها الزمن، ويجب أن يكون هناك سلام وتقاهم وحرية بين الأمم⁽⁵⁾. كما عبر عن ثقة التونسيين في الرأي العام ومساندته من خلال أنه متأكد من أن إتحاد التجارة الحرة في أمريكا قد بدأ حركته نحو مساعدة النقابيين التونسيين وفي كل مكان⁽⁶⁾، كما أنه متأكد من أن التونسيين مقتنعين بأن الرأي العام الأمريكي يساند ويدعم العمل النقابي في تونس.

⁽¹⁾ سعد توفيق البزاز: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1924-1956، المرجع السابق، ص: 145.

⁽²⁾ سعد توفيق البزاز: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956، المرجع السابق، ص: 465.

⁽³⁾ Farhat Hached: Tunisian Workers Resist Colonial Repression, international free trade union news, n: 06, 1952, p 02.

⁽⁴⁾ op.id, p 02.

⁽⁵⁾ op.id, p 02.

⁽⁶⁾ op.id, p 02.

في إطار تسلط السياسة الفرنسية على العمل النقابي في تونس وزيادة القمع ومنع النقابات من ممارسة حريتها الكاملة قدم الاتحاد العام التونسي للشغل لائحة عرضها أثناء انعقاد المؤتمر المؤتمر الدولي الثالث للنقابات الحرة في 1953⁽¹⁾، عرض من خلالها القمع الاستعماري وزيادة تعسفه على النشاط النقابي في كل من تونس والمغرب الأقصى، مطالباً النقابات الحرة بالنظر في هذا الموضوع وتقديم الدعم حتى يبقى العمل النقابي مستمرا ويكمل ما بدأ من أجله⁽²⁾.

المبحث الثالث: مواقف من سياسة فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل.

نظرا للدور الكبير الذي قام به فرحات حشاد من خلال الاتحاد العام التونسي للشغل، ونظرا للسياسة المميزة والمحكمة التي مارسها في الإتحاد والتي ميزته عن غيره من النقابيين والسياسيين في الحركة النقابية، أصبح فرحات حشاد رجل النضال الأول في الحركة النقابية والوطنية عامة في تونس، وذلك يعود أيضا لصدق المبادئ التي آمن بها وأحسها العمال والشعب التونسي من خلال خطاباته وهتافاته باسم العمال التونسيين وضرورة نيلهم لحقوقهم والتمتع بها، وضرورة حصولهم على استقلالهم وحريتهم.

هذه الشعبية التي حضي بها فرحات حشاد باعتباره زعيم العمل النقابي والحركة الوطنية التونسية، وخلقت العديد من المواقف التي اتخذت من خلال سياسته وطريقة عمله والمبادئ التي يؤمن بها، حيث اختلفت هذه المواقف بين مساند لهذه السياسة باعتبارها السياسة الأنجع والأصلح لجلب الاستقلال للبلاد التونسية، وبين معارض لهذه السياسة باعتبار أنها لا تخدم مصالح طبقة معينة وتهدد تواجدهم وبقائهم مستقرين على أرض تونس، فمن خلال هذا المبحث وبعد أن تعرفنا على الزعيم حشاد وسياسته الداخلية والخارجية من خلال الاتحاد العام التونسي للشغل، سنتعرف إلى أهم المواقف التي اتخذت من سياسته في الإتحاد ومن بين المواقف التي سنتطرق إليها هي موقف الأحزاب السياسية التي كانت تمثل الحركة الوطنية في تلك الفترة، وموقف العمال وعامة

⁽¹⁾ **C. I. S. I. – Troisième Mondial Solution Sur Contre L'oppression coloniale et la Tunisie**, 11 juillet 1953, Institution Farhat Hached.

⁽²⁾ op.id .

الشعب التونسي من حشاد وسياسته وأخيرا موقف السلطات الفرنسية التي كان لها موقف خاص وردة فعل مميزة عن غيرها من المواقف.

المطلب الأول: موقف الأحزاب السياسية.

على الرغم من أن أول شرط قام على أساسه الاتحاد العام التونسي للشغل هو الاستقلالية عن أي سلطة أو أي حزب سياسي، وأيضا أن يكون عمل الاتحاد العام التونسي للشغل هو في المجال الاجتماعي والاقتصادي فقط، الذي يسعى لتحسين حالة العمال واسترجاع حقوقهم المسلوبة، لكن الملاحظ فيما بعد أن الاتحاد التونسي لم يستقر في العمل على المستوى الاجتماعي والاقتصادي فحسب بل تعداه إلى المستوى السياسي، كما نلاحظ أنه أصبحت هناك علاقات بين الاتحاد التونسي والأحزاب السياسية الوطنية الأخرى، وهذا يعود إلى الظروف الداخلية التي طرأت على البلاد التونسية، والتي أجبرت زعيم الاتحاد حشاد إلى الدخول في المجال السياسي وتزعم الحركة السياسية الوطنية، من أجل تحقيق الاستقلال للبلاد في الوقت الذي لم تجد الحركة الوطنية التونسية قادة يسيرونها، وذلك بسبب الاعتقالات التي قامت بها السلطات الفرنسية لكل الزعماء الوطنيين.

زادت مكانة فرحات حشاد في صفوف الشعب التونسي واعتبروه المنقذ لهم ولحركتهم التي تعبر عنهم، ومن هنا برزت العديد من المواقف على سياسة فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل والحركة الوطنية بصفة عامة، ومن ذلك موقف الحزب الدستوري الجديد، الذي ربطت فرحات حشاد بزمعائه علاقات طيبة ويصب مجملها في خدمة القضية التونسية وتحقيق الاستقلال، حيث كان الاتحاد العام التونسي للشغل يمثل التيار النقابي في الحزب الدستوري التونسي، وكان فرحات حشاد يعمل دائما إلى التقاف العمال حول هذا الحزب والعمل على نصرته، ومن بين أعضاء هذا الحزب الذي كانت تربط بينه وبين حشاد علاقة طيبة، وكان يعتبر

الفصل الثاني: انعكاسات سياسة فرحات حشاد على العمل النقابي في تونس 1946-1956

أن سياسة حشاد هي السياسة الأنجع لخدمة العمال والبلاد هو " صالح بن يوسف " * الذي دامت العلاقة بينه وبين فرحات حشاد فترة هامة من سنة 1945 إلى غاية 1952⁽¹⁾، ويمكن القول أنها علاقة جيدة كان يسودها الالتقاء الجهوي بين قادة الاتحاد العام التونسي وبين قادة الحزب الدستوري الجديد⁽²⁾.

كان موقف صالح بن يوسف من خلال الحزب الدستوري معبر دائما عن مساندته لحشاد ولسياسته، والدليل على ذلك هو الدور الكبير الذي قام به صالح بن يوسف فيما يعرف بالرهان على العمل التأسيسي والقانوني لصالح الحركة الوطنية⁽³⁾، إذ دفع طاقات الحزب الدستوري الجديد لمعاوضة تكوين الاتحاد العام التونسي للشغل⁽⁴⁾، كما حفز النقابيين المنتمين للدستور الجديد للالتحاق بمسعى حشاد في التأسيس المستقل⁽⁵⁾، وهو الذي حفز جامعة الموظفين التونسيين للالتحاق بنقابة فرحات حشاد ومساندته⁽⁶⁾، كما كانت هناك العديد من المحطات التي كان فيها تنسيق وتحالف كبيرين بين فرحات حشاد وصالح بن يوسف، فقد تجلت هذه المحطات في مؤتمر ليلة القدر وفي الإضراب العام الذي تم تنظيمه إثر اعتقال المؤتمرين⁽⁷⁾، وكان التنسيق بينهما واضحا بين حشاد وبين يوسف بين سنوات 1947 و1948⁽⁸⁾، وتجلّى ذلك من خلال المناصرة

* صالح بن يوسف: من مواليد 1907 في جربة وتوفي في 1961 في فرانكفورت، هو أحد أبرز قادة الحركة الوطنية التونسية، تولى الأمانة العامة للحزب الحر الدستوري الجديد كما تولى وزارة العدل في حكومة محمد شنيق التفاوضية بين 1950 و1952. أنظر/ ديوان العرب، جوان 2014، [www.Diwan alarab . com].

(1) عبد الواحد المكني: فرحات حشاد المؤسس الشاهد القائد البطل، تق: حسين العباسي، صامد للنشر، تونس، 2012، ص: 85.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، ص: 86.

(5) عبد المجيد بالهادي، المرجع السابق، ص: 122.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) عبد الواحد المكني، المرجع نفسه، ص: 87.

(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكبيرة التي قدمها صالح بن يوسف لضحايا أحدث 5 أوت 1947، حيث زار الجرحى رفقة حشاد في مستشفى صفاقس.

كما تجلّى التقارب في تمكين فرحات حشاد من خط تحرير صحافة الحزب الدستوري الجديد وخاصة جريدتي " الحرية " الناطقة باللسان العربي و " الرسالة " الناطقة بالفرنسية⁽¹⁾، كما عملا على تحفيز الكفاح المسلح في مطلع سنة 1952⁽²⁾، ويعتبر صالح بن يوسف هو أول من قدم قائمة بأسماء المتورطين في اغتيال الزعيم حشاد وذلك في بيان ممضي بصفته الحزبية كأمين عام للحزب الحر الدستوري وقدمه لهيئة الأمم المتحدة⁽³⁾. ومن هنا نجد أن صالح بن يوسف كان من الأشخاص الذين يعتبرون فرحات حشاد رمزا نضاليا له وزنه وهيئته، لذا كان على توافق كبير مع سياسته وأفكاره، حيث كان هناك انسجاما كبيرا بين أفكار هذين الزعيمين خاصة منها ما يتعلق باستقلال تونس.

أما فيما يخص الزعيم السياسي الحبيب بورقيبة باعتباره هو رئيس الحزب الدستوري الحر الجديد، فقد اختلفت الآراء بين المؤرخين فهناك من يقول أن العلاقة بين فرحات حشاد والزعيم بورقيبة كانت علاقة طيبة ولا يشوبها أي لبس أو أي نوع من العداء، وأن بورقيبة كان مساند لسياسة فرحات حشاد ومتفق معها، وممن يقر بهذا الرأي نجد نجل الزعيم فرحات حشاد وهو نور الدين حشاد حيث ذكر بمناسبة ذكرى وفاة الزعيم بورقيبة قائلاً: " ترحما على روحه الطاهرة وتخليدا لذكراه العطرة وإكبارا لمآثره ومناقبه الرائدة لصفحات نضاله المشرقة من أجل تونس وإخلاصا للروابط التاريخية وأواصر علاقات الكفاح التي وحدت الزعيمين الخالدين الحبيب بورقيبة وفرحات حشاد حول هدف تحرير البلاد من رقبة الاستعمار البغيض، تحيي اليوم مؤسسة فرحات حشاد الذكرى 15 لرحيل الزعيم الحبيب بورقيبة الذي ربطته بالزعيم الشهيد

(1) عبد الواحد المكني، المرجع السابق، ص: 87.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فرحات حشاد محطات كفاح بدأت سنة 1949 سنة لقائهما الأول وإلى غاية 5 ديسمبر تاريخ استشهد الزعيم فرحات حشاد⁽¹⁾.

كما يذكر الحبيب بورقيبة نفسه في رسالة كتبها في منفاه في جالطة قال فيها: " مهما يكن في الأمر من غرابة فإن معرفتي المباشرة بفرحات حشاد قليلة ... وأول مقابلة بيننا كانت في 1949 عند رجوعي من مصر وقد تلاقينا فيما بعد قليلا على سبيل الصدف في اجتماعاتنا العمومية أو رحلاتنا الدعائية ... مع اليقين بأن منظمتي الاتحاد والدستور مرتبطتان بعري التضامن الوثيق، لا قبل لهما إلا أن تسيرا جنبا إلى جنب يد بد⁽²⁾، كما ذكر بورقيبة أنه لم تتح له الفرصة للتعرف على حشاد أكثر إلا من خلال إقامتهما معا في أمريكا خلال شهر سبتمبر 1951⁽³⁾ وذلك لحضور المؤتمر السنوي لجامعة الشغل الأمريكية، ثم في واشنطن حيث عملا معا وعالجا مشاكل في الجانب التكتيكي والدبلوماسي⁽⁴⁾، حيث أضاف أنه من خلال هذه المدة التي تشارك فيها الإقامة مع حشاد تعرف عليه أكثر، وأنه فهم سر مكانته بين الأقسام بفضل قوة شخصيته وذكائه ومكارم أخلاقه.

كانت هذه الرسالة التي كتبها بورقيبة بمثابة الرد على أصحاب الرأي الثاني الذين يقرون بأن العلاقة بين الزعيمين لم تكن على أحسن ما يرام، بل كان هناك تنافس كبير بينهما وخاصة من طرف بورقيبة الذي بدأ يحس الخطر من حشاد وأنه سيأخذ مكانته، وأكثر من رَوِّج لهذا الرأي السلطات الفرنسية في تونس، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حيث أقرّوا بأن بورقيبة متورط في قضية اغتيال حشاد وأنه كان على علم بذلك، حيث صرح أحد أعضاء في منظمة اليد الحمراء التي نسبت لها تهمة اغتيال حشاد وهو " أنطوان ميليرو " خلال تقرير قامت به قناة الجزيرة حول حقيقة

(1) نور الدين حشاد: مؤسسة فرحات حشاد تشيد بخصال الزعيم الحبيب بورقيبة في الذكرى 15 لرحيله، جريدة تونس الرقمية، ع: 21، 2015، ص: 01.

(2) عبد الواحد المكني، المرجع السابق، ص: 76-77.

(3) المرجع نفسه، ص: 78.

(4) المرجع نفسه، ص: 79.

اغتيال فرحات حشاد صرح فيه قائلا: " كان دور بورقيبة بارزا وهو أول من استفاد من اغتيال حشاد كما استفادت من ذلك فرنسا التي كانت ترغب في تسليم الحكم لبورقيبة وليس لحشاد وبورقيبة على علم باغتيال حشاد وشعر بالارتياح، كما شعرت بذلك الحكومة الفرنسية بعد التخلص من حشاد ⁽¹⁾. كما صرح قائلا: " كان لدينا تخوف شديد من أن حشاد سيعيق وصول بورقيبة إلى حكم تونس وأنا على يقين من أن حشاد سيمنع تولي بورقيبة الحكم لو ظل حيا بعد الاستقلال ... وأن فرنسا كانت ترغب في أن يتولى حكمها صديق لفرنسا وقد اختارت لذلك بورقيبة ⁽²⁾."

أما فيما يخص موقف الحزب الشيوعي، فنلاحظ أن علاقة فرحات حشاد مع الحزب الشيوعي قد تراوحت بين التوافق والخلاف فيما بينهما ⁽³⁾، كما نلاحظ أيضا أن فرحات حشاد كان منخرطا في الكونفيدرالية النقابية العامة وكانت بدورها ذات اتجاه شيوعي، وعلى الرغم من استقلال حشاد بمنظمة خاصة وهي الاتحاد العام التونسي للشغل، إلا أنه لم يفقد العلاقة الطيبة بينه وبين الحزب الشيوعي، والدليل على ذلك هو طلب انخراطه في النقابة العالمية الاشتراكية فور تأسيسه للاتحاد ⁽⁴⁾، كما وصلت درجة التوافق بينهما إلى الاشتراك سويا في الإضراب الذي شنه عمال رصيف بنزرت سنة 1950 ⁽⁵⁾، والذي شارك فيه الشيوعيين جنبا لجنب مع عمال الاتحاد التونسي.

لقد شكلت سنوات 1947 إلى 1950 ⁽⁶⁾ مرحلة تقارب وتعايش بين الاتحاد العام التونسي للشغل والحزب الشيوعي، إلا أن ذلك لم يعمر طويلا، حيث أنه من سنة 1951 ⁽⁷⁾ ساد نوع من

(1) أنطوان ميلير: تقرير حول اغتيال فرحات حشاد، الجزيرة الوثائقية، الدوحة، 2009.

(2) المرجع نفسه.

(3) أحمد المالكي، المرجع السابق، ص: 366.

(4) مصطفى كريم: انضمام الاتحاد العام التونسي للشغل إلى الكونفيدرالية النقابية العالمية، تع التميمي، المجلة التاريخية

المغربية، ع: 01، تونس، 1974، ص: 75.

(5) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص: 366.

(6) المرجع نفسه، ص: 367.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفتور العلاقة بين الحزبين، بلغ لحد الانتقاد والانتقاد المتبادل، خاصة من طرف الحزب الشيوعي الذي وجه العديد من الاتهامات للاتحاد العام التونسي للشغل ولزعيمه حشاد⁽¹⁾، بأنه خرج عن الإطار الحقيقي الذي قام عليه الإتحاد وهو الإطار الاجتماعي والدخول في ممارسة السياسة⁽²⁾، كما أنه من خلال سياسته التي يتعامل من خلالها مع العمال وأفكاره التي تختلف عن الأفكار الشيوعية قد أدت لخلق عداء كبير بين طبقات العمال في تونس، وما زاد هذا الوضع سوءا هو انسحاب حشاد من المنظمة النقابية العالمية الشيوعية وانضمامه لمنظمة النقابات العمالية الحرة "السيزل"، التي اعتبرها حشاد مهمة جدا بالنسبة للنقابة التونسية، وأنها تساعد في إيصال صوت تونس للعالم.

المطلب الثاني: موقف العمال والشعب التونسي.

كان دائما موقف العمال خاصة والشعب التونسي عامة هو موقف واحد لم يتغير ولم يشوبه أي نوع من الشك في شخص فرحات حشاد، وفي كفاءته وحبه للشعب ونضاله من أجل الاستقلال من ظلم الاستعمار. دام حب العمال والشعب التونسي لفرحات حشاد طيلة فترة نضاله وحتى بعد اغتياله واستشهاده، وإلى يومنا هذا تقام الاحتفالات تشييدا بذكره ونضاله لجانب شعبه وشعوب العالم كافة، وإلى غاية اليوم يطالب الشعب التونسي في إعادة النظر في قضية اغتياله ومطالبة فرنسا بمعاقبة المسؤولين عن ارتكاب هذا الفعل الشنيع في حق حشاد وحق عائلته وفي حق تونس والعالم ككل، كما يطالبون فرنسا بالاعتذار للشعب التونسي على هذه الجريمة النكراء، التي لا ترضى بها الإنسانية.

يمثل فرحات حشاد بالنسبة للعمال التونسيين رمز العطاء والقوة والنضال، حيث قدم حياته فداءا لشعبه وبلاده، وذلك لأن فرحات حشاد كان يخطب باسم العمال والشعب التونسي، وكان ذلك واضحا من خلال كل خطاب ألقاه أمام العمال والشعب التونسي وكل مقال عبر من خلاله

(1) أمحمد مالكي، المرجع السابق، ص: 366.

(2) سعد توفيق البزاز، الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص: 90.

عن رأيه الذي يمثل رأي العمال ومن ذلك مقاله الذي نشر في جريدة الحرية في عددها 87 سنة 1949⁽¹⁾، عبر من خلاله عن العنف الذي يمارس ضد العمال ويؤكد أنه لا شيء سيهز من عزيمة العمال والشعب التونسي حيث قال: " ظن أصحاب الجاه بهذه البلاد أن سياسة القمع والزجر تكفي وحدها لإخفاء صوت الحق والوقوف أمام تيار النهوض الذي أصبح يسري في النفوس ويحرك الجماهير... وها نحن نجابه هذه القوة المسيطرة التي تريد إخضاع نفوسنا فتأبى الخضوع وتريد تحطيم عزيمتنا فتتضاعف، وتريد الفت في ساعدنا فإذا بالصفوف الشغيلة المنظمة تزداد ثباتاً أمام العنف وتظهر العجب العجائب الذي يندهش له الخصم اندهاشاً "⁽²⁾.

كانت مثل هذه المقالات التي عندما يقرأها الشعب التونسي يزداد ثقة بقدراته وثباتاً على موقفه والأهم يزداد حبه وإيمانه بزعيمهم فرحات حشاد، الذي أحب شعبه وناضل من أجله وأظهر ذلك من خلال مقاله المشهور " أحبك يا شعب " ومن بين ما جاء فيها وهو يمدح في شعبه ويتفاخر به حيث قال: " أحبك يا شعب تونس ... أحبك بما اشتمل فيك من خصال تفاخر بها وصفات حميدة ترفع رأسك، وأحبك لحبك في العمل واعتصامك بمبادئك المقدسة. وأحبك لمشاطرتك أفراح المظلوم عند انتصاره على الظلم ومساهمته لارتياح المغلوب ومساعدته، فإذا ما شعرت بخطر يهدد فرداً أو قسماً من هيكلك دق قلبك دقة واحدة واتجهت مهجتك كلها لدفع الضرر "⁽³⁾.

كل هذه الثقة والمحبة التي قدمها حشاد لشعبه دفعت الشعب لمبادرته نفس الشعور والوقوف في الاضرابات التي كان يقوم بها ومناصرته والتهاتف بما يهتف والإيمان بما يؤمن، وهذا الحب ظهر جلياً عند اغتيال الزعيم الأول فرحات حشاد حيث كانت تلك الواقعة بمثابة الصاعقة بالنسبة للتونسيين والعالم خاصة، حيث عبر مصطفى الفيلالي وهو وزير سابق وقيادي سابق في الاتحاد العام التونسي للشغل من خلال التقرير الذي أعدته قناة الجزيرة حول اغتيال حشاد، أن اغتيال

(1) عبد المجيد بالهادي، المرجع السابق، ص: 247.

(2) المرجع نفسه، ص: 245.

(3) فرحات حشاد، أحبك يا شعب، المرجع السابق، ص: 01.

حشاد دفع الشعب التونسي لأن يحس باليتم وبأنه فقد أب حركته الوطنية وقائدها⁽¹⁾، كما أنه بعد اغتياله فوراً أعلنت حالة الطوارئ وامت البلاد التونسية الإضرابات والمظاهرات التلقائية التي فجر من خلالها الشعب التونسي غضبه وسخطه على الحكومة الفرنسية التي كانت وراء هذا الاغتيال⁽²⁾.

كما أن محبة فرحات حشاد لم تكن من طرف التونسيين فقد بل كل شعوب العالم، والتي هي بدورها كانت لها ردة فعل على اغتيال حشاد، حيث امت موجة من الإضرابات في مختلف مدن العالم منها في الولايات المتحدة الأمريكية، ستوكهولم، روسيا والسويد نظراً لمكانة فرحات حشاد كزعيم نقابي ووطني بصفة عامة⁽³⁾، أما بالنسبة للدول العربية فقد أقيمت صلاة الغائب على روح الشهيد فرحات حشاد في مصر بحضور رئيس الجمهورية محمد نجيب⁽⁴⁾، وغيرها من الدول العربية حيث نلاحظ أكبر ردة فعل قام بها المغرب الأقصى، حيث ما إن بلغ خبر الاغتيال للدار البيضاء في المغرب مساء يوم 05 ديسمبر 1952⁽⁵⁾، حيث قرر مسئولون استقلاليون من الإتحاد العام للنقابات الحرة بالمغرب بتنظيم إضراب عام يوم 07 و 08 ديسمبر 1952⁽⁶⁾ يعبر عن تضامنهم مع العمال التونسيون وتمردهم ضد مساوئ النظام الاستعماري، أدى هذا الإضراب لقيام ثورة مسلحة في المغرب الأقصى⁽⁷⁾، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة المرموقة التي كان يحظى بها فرحات حشاد عند كافة شعوب العالم.

(1) مصطفى الفيلالي، تقرير الجزيرة الوثائقية حول اغتيال حشاد، المرجع السابق.

(2) عدنان المنصر، تقرير الجزيرة الوثائقية حول اغتيال حشاد، المرجع نفسه.

(3) عميرة عليّة الصغير، تقرير الجزيرة الوثائقية حول اغتيال حشاد، المرجع نفسه.

(4) لطفي زيتون، تقرير الجزيرة الوثائقية حول اغتيال فرحات حشاد، المرجع نفسه.

(5) ألبير عياش: في ذكرى اغتيال فرحات حشاد و كفاف 7 و 8 ديسمبر 1952 بالدار البيضاء، الحوار المتمدن، ع: 2170،

المغرب، 2008، ص، 02.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على الرغم من أن السلطات الفرنسية استطاعت التخلص من فرحات حشاد، إلا أنها لم تستطع أن تغير نظرة الناس فيه وتحد حبهم الشديد له الذي استمر حتى بعد موته، وإلى هذا اليوم مازال الشعب التونسي لا يفتتح أي اجتماع مهما كان مجاله إلا ويذكر في بدايته ويشيد بنضال فرحات حشاد ويردد خطابه الشهير " أحبك يا شعب ".

المطلب الثالث: موقف السلطات الفرنسية.

بعد كل ما حققه فرحات حشاد من انتصارات وبعد حصوله على شعبية جماهيرية تفوق تصور الإنسان، حيث تمكن حشاد الشاب الذي خرج من قرية صغيرة لا تكاد تظهر على خريطة تونس وهي جزيرة " قرقنة " من الوصول للعالمية، وأصبح يخطب أمام رؤساء الدول العظمى ويشارك في مؤتمرات عالمية؛ منها مؤتمرات النقابة العالمية الحرة، كما تمكن أيضا من أن يقود حركة النضال الوطني في تونس ويتدخل في قرارات فرنسا ويمنعها ويحول بينها وبين تحقيق مصالحها في تونس. على الرغم من قوة نفوذ فرنسا إلا أن حشاد واجهها بدون خوف وتردد وبكل عزيمة وإصرار.

عندما وصل حشاد لهذه المكانة المرموقة في تونس والعالم، أصبح بمثابة حجر عثرة في طريق تحقيق الحكومة الفرنسية مصالحها في تونس، وبدأت تحس أن حشاد بدأ يسحب البساط من تحتها، وعلى الرغم من أنها حاولت مرارا وتكرارا جاهدة للوقوف في طريقة وإيقاف نشاطه؛ عن طريق منعه من حضور العديد من الاجتماعات ومن ذلك اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات الحرة الأمريكية، حيث منعه من السفر ومغادرة البلاد مما أثار احتجاج الاتحاد الدولي للنقابات الحرة الأمريكية⁽¹⁾، كذلك من بين الأساليب التي قامت بها مع الزعيم فرحات حشاد؛ هو أسلوب التهديد، حيث هددته بالقتل إن لم يتوقف عن نشاطه وتأييب الرأي العام عليها.

(1) سعد توفيق الباز، الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص: 146.

وعندما لم تتجح كل هذه الأساليب التي قامت بها في كسر والهز من عزيمة حشاد، قررت اغتياله وتصفيته، فسلطت عليه عصابتها المتطرفة التي أطلق عليها اسم " اليد الحمراء " * يوم 05 ديسمبر 1952⁽¹⁾، وهو ما أكدته كتاب أنطوان ميليرو الصادر عام 1997⁽²⁾ في فرنسا بعنوان " اليد الحمراء الجيش السري للجمهورية " وبالفرنسية " *La Main rouge. L'armée secrète de la république* "، وهذا الكتاب يحمل شهادة مكتوبة لـ أنطوان ميليرو أحد أعضاء عصابة اليد الحمراء الفرنسية والذي أكد فيها مسؤولية هذه الميليشيا في عملية الاغتيال التي دبرها هو شخصيا، حيث ذكر أنطوان من خلال التقرير الذي أعدته قناة الجزيرة قائلاً: " أعتقد أن ما قمت به هو عمل شرعي ولو كان ينبغي علي إعادته سأعيدة"⁽³⁾. وأضاف قائلاً: " عملية الاغتيال هي بالتأكيد من تنفيذ اليد الحمراء بالاتفاق مع المسؤولين الحكوميين الفرنسيين في تونس"⁽⁴⁾، أكد أيضا بأن المجموعة التي نفذت العملية لم تحاكم في تونس وإنما سافرت لفرنسا بالاتفاق مع السلطات التونسية.

عندما بدأت الحكومة الفرنسية تقلق من النشاط الكبير الذي كان يقوم به فرحات حشاد، خاصة وأنه بدأ يهدد مصالحها الاستعمارية في تونس وشمال إفريقيا عامة، بدأ التفكير في عدد خطط لإزاحته من الطريق منها وضعه في السجن أو تحديد إقامته في منزله⁽⁵⁾ وبعدما فشلت في كل هذا، بدأت التهديدات تصله عن طريق منشورات موقعة من منظمة اليد الحمراء وارتفعت أصوات المطالبين برأسه⁽⁶⁾، حيث أنه يوم 28 نوفمبر أي قبل مقتله بأسبوع كتبت صحيفة " باريس " التي تصدر في شمال إفريقيا أن حشاد وبورقيبة هما رأس البلاء فلماذا تترك الرأس إن كان في القضاء

* منظمة إرهابية مهمتها اغتيال واعتقال الوطنيين التونسيين، قام بتأسيسها المقيم الفرنسي جان دوهوركلوك. أنظر/ سعد توفيق

البزاز، الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، المرجع السابق، ص: 96.

(1) محمد بالطيب، المرجع السابق.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

(5) منذر جريدي: معلومات نادرة عن اغتيال فرحات حشاد، جريدة تونس، العدد 44، تونس، 2013.

(6) محمد بالطيب، المرجع نفسه.

عليهما مصلحة للحياة والكرامة والشرف الفرنسي فإذا كان الرجل يهدد بقتلك اقتله أنت قبل أن يقتلك على حد تعبيرها⁽¹⁾.

في صباح يوم الجمعة 5 ديسمبر 1952⁽²⁾ تم تنفيذ خطة القضاء على فرحات حشاد، حيث تبعته سيارة في الطريق من الضاحية التي كان يقطنها خارج العاصمة تونس وأطلقوا عليه النار وفرت السيارة هاربة⁽³⁾، ولكن حشاد أصيب فقط في ذراعه وكتفه وتمكن من الخروج فورا من السيارة، وبعدها بثوان ظهرت سيارة أخرى وأجهزت عليه بإطلاق النار على رأسه ثم إلقائه على جانب الطريق بعد أن تأكدوا من موته فعلا⁽⁴⁾، وبهذه الحال استطاعت السلطات الفرنسية التخلص من أهم عنصر في الحركة الوطنية التونسية، كما أنها شعرت بالارتياح الشديد، خاصة بعدما تأكدت من أنه ليس هناك من سيكون حجر عثرة في طريقها مثلما كان حشاد، الذي كان طوال فترة نضاله يعمل على فضح خططهم وكشف مؤامراتهم التي كانت تدبر ضد شعب بلاده الذي أخلص له وناضل من أجل حصوله على حريته.

في الأخير وكخلاصة لكل ما تطرقنا إليه في هذا الفصل، يمكن أن نستنتج أن لفرحات حشاد مساهمة ودور بارز ومهم في الحركة الوطنية عامة والاتحاد العام التونسي للشغل خاصة، وقد تمثل هذا الدور في مختلف الميادين سواء الميدان الاجتماعي والاقتصادي الذي كان هو أساس قيام وتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، أو السياسي والوطني الذي اضطلع فيه الاتحاد وأصبح من أولويات مهامه، نتيجة لإيمان مؤسسه فرحات حشاد بضرورة هذا الميدان لتحرير العمل النقابي وتحرير الشعب التونسي والبلاد بصفة عامة، والذي كان هو السبب الأساسي الذي أجبر حشاد لأن يدخل في المجال السياسي ويقود الحركة الوطنية بكل أحزابها السياسية.

(1) محمد بالطيب، المرجع نفسه.

(2) المرجع نفسه.

(3) منذر جريدي، المرجع السابق.

(4) المرجع نفسه.

كما نستنتج نقطة مهمة جدا وهي أن دور فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل لم يكن على المستوى الداخلي للبلاد فحسب، بل تعداه إلى الخارج، وذلك من خلال الدعم الشديد الذي قدمه لدول المغرب العربي، لأن حشاد آمن بوحدة المغرب العربي وضرورة تعاونه وتضامنه مع بعضه البعض، كما تجلّى نشاط الاتحاد في تبادل الدعم مع دول المشرق ومنها مصر، وأيضا تقديم مساعدات لفلسطين وإيمان حشاد بأن فلسطين للفلسطينيين.

كل هذا الدور وهذا النشاط لفرحات حشاد من خلال الاتحاد العام التونسي للشغل، ولد حب كبير في نفوس الشعوب سواء منها التونسية أو العربية وحتى العالمية تجاه فرحات حشاد، وهذا ما لوحظ من خلال الدعم الكبير الذي قدمه الشعب التونسي لفرحات حشاد ولنضاله في وجه الاستعمار، حيث لم يتخلف العمال والشعب التونسي عن فرحات حشاد في أي موقف احتاج لهم فيه، فكانوا مناصريه ومسانديه في الصفوف الأولى في كل إضراب كان يقوم به ويخطط ويجهز له، ورغم القمع الذي يتعرض له هؤلاء العمال والشعب بصفة عامة؛ إلا أنهم لم يتراجعوا ولم يتخلوا عن زعيمهم وزعيم الحركة الوطنية فرحات حشاد.

كما نلاحظ مكانه حشاد ليس فقط عند التونسيين بل حتى عند شعوب الدول العربية الذين لطالما ناصرُوا سياسة حشاد وساندوه وأمنوا بنضاله وسعوا للعمل على نهج طريقه، ولاحظنا ردة فعل الدول العربية على اغتيال فرحات حشاد من خلال إقامة الإضرابات والمظاهرات؛ منها ما حدث في مصر والجزائر وخاصة المغرب والعديد من الدول العربية الأخرى، ونفس الشيء حدث في الدول الأوروبية والأمريكية؛ حيث أقاموا بدورهم بمظاهرات للتنديد بهذا الفعل الإجرامي الذي قامت به السلطات الفرنسية في حق الزعيم فرحات حشاد.

وآخر نقطة تطرقنا إليها هي موقف فرنسا الذي عبرت من خلاله عن مدى خطورة فرحات حشاد بالنسبة لها، وكشفت للتونسيين عن حقيقة فرنسا الاستعمارية الاستغلالية، وهذا الموقف تمثل في اغتيال حشاد في 05 ديسمبر 1950، ومن ذلك اليوم أصبح هذا التاريخ يمثل يوم حزن بالنسبة للتونسيين الذين فقدوا قوتهم وقائدهم النقابي والسياسي فرحات حشاد.

خاتمة

وفي الأخير وختاما لكل ما تطرقنا له من أحداث وما عرضناه من محطات تاريخية، يمكن أن نجيب على الإشكالية التي طُرحت في بداية هذا الموضوع، ونقول أن لفرحات حشاد مساهمة ودور كبير بارز في العمل النقابي في التونسي، الذي بدأه منذ انخراطه في الكونفيدرالية العامة للشغل، وتوجه فيما بعد لتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، الذي استطاع أن يجعلها منظمة مستقلة تمارس كل الصلاحيات التي من حقها ممارستها في ظل الاستعمار الفرنسي وسياسته الاستغلالية؛ فقد بدأ فرحات حشاد عمله النقابي كوريث للتجربة النقابية الأولى، فعلى الرغم من فشل الحركة النقابية الأولى والثانية التي بدأها "محمد علي" في الحفاظ على إستمراريتها، إلا أنه كانت لها نتائج إيجابية وأثر كبير في نفوس الشعب التونسي، حيث تمكنت من أن تزعزع أركان الأنظمة الاستعمارية التي كان يُعتقد أنها ثابتة القواعد والأسس، ويعتبر أهم عمل قامت به الحركة النقابية في فترتها الأولى هي تمكّنها من إرغام فرنسا على الاعتراف بالحق النقابي للتونسيين، والحق في إنشاء منظمات نقابية تعمل على تحسين ظروف العمال الاجتماعية والاقتصادية.

بدأ نجم فرحات حشاد يلمع ويبرز للعيان منذ تأسيسه للاتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946، فمنذ بداية هذا التاريخ بدأت الحركة الوطنية التونسية تأخذ منحى آخر وسياسة جديدة في نضالها ضد الاستعمار، وعلى الرغم من المستوى التعليمي البسيط لفرحات حشاد، إلا أنه استطاع أن يُكوّن من نفسه شخصية يشهد لها التاريخ بما كانت تبذله من نضال وكفاح حتى ينعم شعب بلاده بالحرية والاستقلال؛ فكان فرحات حشاد يسعى دائما لتثقيف نفسه والتطوير من عمله وجهوده حتى تصبح منظمته النقابية في الصدارة، وهذا ما أقلق الكونفيدرالية العامة للشغل، التي لم يكن يعجبها نشاط فرحات حشاد والذي أفقدها معظم منخرطين. هذا ما دفعها لأن تسعى بكل جهودها لعرقلة هذا العمل والوقوف في وجهه كما فعلت أثناء تجربته الأولى والثانية، لكن عزيمة وإصرار فرحات حشاد التي انتقلت فيما بعد إلى العمال حالت دون ذلك، وانتهى الأمر بالكونفيدرالية العامة للشغل الفرنسية إلى تغيير اسمها وأصبحت تسمى باتحاد العمال التونسيين، وهذا ما اعتبره فرحات حشاد انتصارا في حد ذاته.

خاتمة

بعدما رسخت القاعدة الأولى للاتحاد، حاول فرحات حشاد أن يوظف الخبرة التي اكتسبها من فترة انضمامه في صفوف (C.G.T)، فقام بتنظيم الاتحاد العام التونسي للشغل بتشكيل هيكل تنظيمي متميز، تمكن خلاله من أن يحصد نتائج ممتازة قادتة للانضمام إلى المنظمة النقابية العالمية، التي اعترفت بدورها بأن الاتحاد العام التونسي للشغل يعتبر أول منظمة مستقلة عربية استطاعت تسيير جميع هياكلها بنفسها، واستطاعت أن تقف في وجه الاستعمار، هذا كله ما كان ليحدث لولا الإيمان القوي حشاد بمبادئه، ورسمه لأهداف واضحة سعى ونجح في تحقيقها.

قام فرحات حشاد في ظل الاتحاد العام التونسي للشغل بدور هام وبارز لصالح الحركة النقابية بصفة خاصة والحركة الوطنية التونسية بصفة عامة؛ شمل هذا الدور مختلف الميادين سواء الميدان الاجتماعي والاقتصادي الذي كان هو أساس قيام وتأسيس الاتحاد، وحتى السياسي والوطني الذي اضطلع فيه الاتحاد وأصبح من أولويات مهامه، وذلك نتيجة إيمان فرحات حشاد بضرورة هذا الميدان لتحرير العمل النقابي وتحرير الشعب التونسي والبلاد بصفة عامة، ويعتبر أنه لا يمكن لشعب أن ينعم بحقوق اجتماعية ورفاه اقتصادي في بلد لا يعرف معنى الحرية والاستقلال، ومن هذا المنطلق اضطر حشاد لأن يدخل في المجال السياسي ويخوض غماره ويقود الحركة الوطنية بكل أحزابها السياسية، على الرغم من كل الانتقادات والتهم التي وجهت له.

كل ما قام به فرحات حشاد من نشاط وتميز داخل البلاد التونسية، قام به وبنفس المستوى خارج تونس، حيث كان له دور كبير على المستوى الخارجي، وذلك من خلال الدعم الكبير الذي قدمه لدول المغرب العربي، نظرا لأن فرحات حشاد كان له إيمان كبير بوحدة المغرب العربي وضرورة تعاونه وتضامنه مع بعضه البعض، باعتبار أنهم يشتركون في مستعمر واحد وسياسة استعمارية واحدة، كما تجلّى نشاط الاتحاد الخارجي في تبادل الدعم مع دول المشرق العربي؛ ومنها مصر من خلال تبادل الدعم والمساندات المادية والمعنوية بين البلدين، وأيضا تجلّى دور الإتحاد في تقديم مساعدات لفلسطين، وإيمان حشاد بالقضية الفلسطينية وبأن فلسطين للفلسطينيين ولا وجود لأي وطن قومي لليهود على أرض فلسطين.

كل هذا الدور وهذا النشاط لفرحات حشاد، ولد حب كبير في نفوس الشعوب سواء منها التونسيين أو العرب وحتى العالمية تجاه فرحات حشاد، وهذا ما لوحظ من خلال الدعم الكبير الذي قدمه الشعب التونسي لفرحات حشاد ولنضاله في وجه الاستعمار، فكانوا مناصريه ومسانديه وفي الصفوف الأولى في كل إضراب كان يقوم به ويخطط ويجهز له، ورغم القمع الذي يتعرض له هؤلاء العمال والشعب بصفة عامة من قبل السلطات الاستعمارية الاستبدادية، إلا أنهم لم يتراجعوا ولم يتخلوا عن زعيمهم وزعيم الحركة الوطنية فرحات حشاد. كما نلاحظ مكانة حشاد حتى عند شعوب الدول العربية الذين لطالما ناصرُوا سياسته وأمنوا بنضاله، وتمثل ذلك الحب في ردة فعل الدول العربية والعالمية على اغتيال فرحات حشاد من خلال إقامة الإضرابات والمظاهرات.

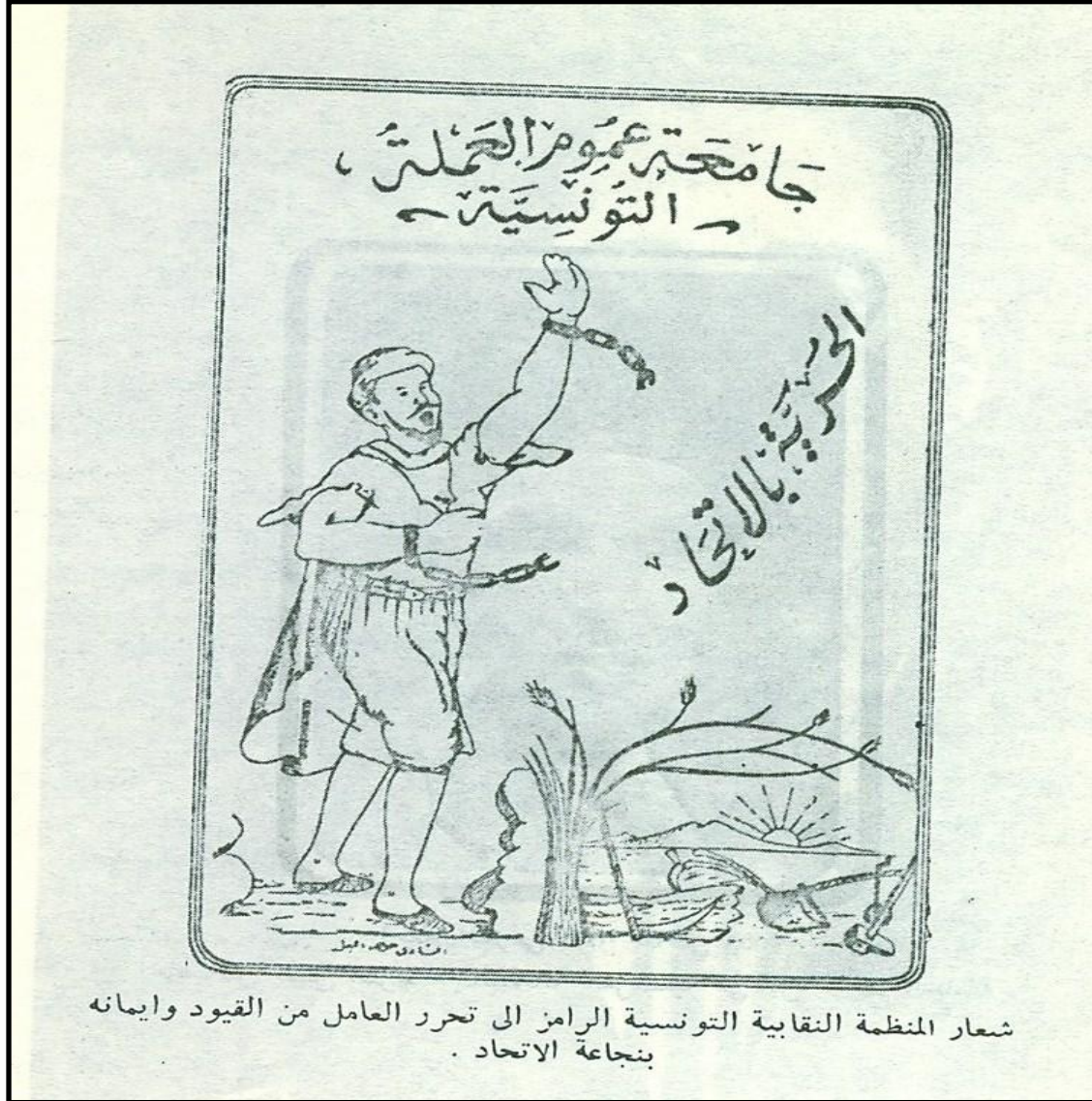
نتيجة لكل النشاط والحماس والتميز الذي حضيت به شخصية فرحات حشاد، كانت نهايته على يد السلطات الفرنسية؛ التي لطالما كان حشاد يمثل حجر عثرة تقف في طريقها وشوكة عالقة في حلقها تفشل كل مخططاتها وتكشف كل سياساتها ومؤامراتها، فكانت ردة فعل فرنسا بأن سلطت عصابتها التي تسميها باليد الحمراء وقامت باغتيال فرحات حشاد في 05 ديسمبر 1952. على الرغم من أن الاتحاد العام التونسي للشغل فقد قائده وزعيمة، إلا أنه لم يفقد عزيمته وإصراره، بل سار على نفس النهج والطريق الذي رسمه له فرحات حشاد، وذلك نظرا لإيمان من خلفوا حشاد بضرورة الحفاظ على حلم زعيمهم، فواصل الاتحاد نشاطه بكل عزيمة وجد واستطاع بالإتحاد مع الأحزاب الوطنية التونسية أن يحققوا الاستقلال لبلادهم سنة 1956.

لم يتوقف نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل عند هذا التاريخ بل كانت له العديد من المحطات التي صعد فيها عاليا وكانت له مواقف وقرارات اتخذها تخص قضايا البلاد الداخلية والخارجية، خاصة في الفترة الانتقالية وتأسيس الدولة التونسية، وهذا ما يفتح موضوع آخر يحتاج للدراسة والبحث، ويمكن أن نطرح الإشكال التالي هو: إلى أي مدى كان للاتحاد العام التونسي للشغل دور في الفترة الانتقالية للدولة التونسية؟.

الملاحق

ملحق رقم 01:

شعار المنظمة النقابية التونسية الرامز إلى تحرير العامل من القيود و إيمانه بنجاعة الإتحاد



المصدر/ الطاهر الحداد، العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية، ص: 145.

صور لفرحات حشاد



المصدر/ عبد السلام بن حميدة: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ص

133.

ملحق رقم 03:

شعار الإتحاد العام التونسي للشغل



المصدر/ صابر عباس: الإتحاد العام التونسي للشغل، جريدة مذكرات الحرية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1- حشاد فرحات: خطاب المؤتمر الرابع للإتحاد العام التونسي للشغل، 31-03-1951، مؤسسة فرحات حشاد، تونس، 07-12-2010.

2- حشاد فرحات: خطاب ألقاه أمام طلبة شمال إفريقيا المسلمين في باريس، بتاريخ 20 ديسمبر 1946، نشر في جريدة الشعب في عدد خاص في 05-12-1959، مؤسسة فرحات حشاد، تونس، 2015.

3- حشاد فرحات: أحبك يا شعب، جريدة الحرية، ع: 138، 26 نوفمبر، 1950.

ثانياً- المراجع:

1- أبو حمدان سمير: خير الدين التونسي، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1993 .

2- أمين أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965 .

3- بالهادي عبد المجيد: فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، تونس، 2013.

4- البزاز سعد توفيق: الحركة العمالية في تونس نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (1924-1956)، زهران للنشر، الأردن، 2015.

5- بلخوجة الطاهر: الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999.

6- بن صالح أحمد: تونس التنمية والمجتمع، حوار مارك نرفان، دار الكلمة للنشر، تونس، 1980.

7- البنا جمال: دور النقابات في المجتمع الاشتراكي، المطبعة العالمية، القاهرة، 1967.

8- الثعالبي عبد العزيز: تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975.

- 9- الجمل عطا الله شوقي وإبراهيم عبد الرزاق: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري للتوزيع، القاهرة، 2000.
- 10- محمد حسن: تاريخ تونس، دار المعارف، مصر، 1961.
- 11- الحداد الطاهر: العمال التونسيين وظهور الحركة النقابية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
- 12- حمدان جمال: إستراتيجية الاستعمار والتحرر، دار الشروق، بيروت، 1983.
- 13- خالد أحمد: الطاهر الحداد والبيئة التونسية في الثلث الأول من القرن العشرين، الدار التونسية، تونس، 1967.
- 14- خالد محمد: الحركة النقابية بين الحاضر والماضي، تق: صلاح غريب، [د- ن]، [د- س].
- 15- الخرفي صالح: عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- 16- داهش محمد علي: دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوجدانية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- 17- الدقي نور الدين: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إش: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ج3، 2005.
- 18- الزملي الصادق: أعلام تونسيون، تق وتغ: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- 19- السرجاني راغب: قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011 م، دار أقلام للنشر، القاهرة، ط2، 2011.

- 20- الشرف محمد الهادي: تاريخ تونس في عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش ومحمد مجينة، سراس للنشر، تونس، ط3، 1993.
- 21- الشريف البشير الحاج بن عثمان: أضواء على تاريخ تونس الحديث، دار بو سلامة للطباعة، تونس، 1981.
- 22- الشريف بن يونس محمد: عظماء منسيون، دار الأندلس الخضراء، تونس، ج2، 2010.
- 23- الشيخ رأفت: تاريخ العرب المعاصر، دار روتابرينت للطباعة، مصر، 1996.
- 24- الصادقي سعيد: بورقيبة سيرة شبه محرفة، رياض الريس للنشر، لبنان، 2000.
- 25- عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قوية جديدة 1830-1956، دار المعارف، تونس، ط2، [د - س].
- 26- العقاد صلاح: المغرب العربي الكبير الجزائر- تونس- المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1969.
- 27- عقباوي الكنتي العابد: دليل العمل النقابي، [د- ن]، الجزائر، 2010.
- 28- عوده عبد الله محمد والخطيب ياسين إبراهيم: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر، الأردن، 1998.
- 29- عياش ألبير: الحركة النقابية في المغرب 1919-1942، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ج1، 1988.
- 30- أمحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.

- 31- عيد عاطف: قصة الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس الجزائر، Edeps Creps International، بيروت، 1998.
- 32- غانياج جون: ثورة ابن غداهم 1864، ترجمة لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1965.
- 33- الفاسي علال: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، تق: عبد السلام جسوس، القاهرة، 1948.
- 34- قرنفل حسن: الشغل بين النظرية الاقتصادية والحركة النقابية، مطبعة إفريقيا للشرق، بيروت، 2006.
- 35- القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.
- 36- اللولب حسن حبيب: التونسيون والثورة الجزائرية، دار السبيل للنشر، الجزائر، ج1، 2009.
- 37- المحجوبي علي: العالم العربي الحدي والمعاصر، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009.
- 38- المحجوبي علي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع: عمر بن ضو وحليمة قرقوري، سراس للنشر، تونس، 1986.
- 39- المساوي محمد العربي: محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012.
- 40- المكني عبد الواحد: فرحات حشاد المؤسس الشاهد القائد البطل، تق: حسين العباسي، صامد للنشر، تونس، 2012.

41- مناصريه يوسف: الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937, دار المعارف, تونس, 2002.

42- موسى فيصل محمد: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر, منشورات الجامعة المفتوحة, ليبيا, 1997.

43- الهمامي حمة: قراءة في تاريخ الحركة النقابية, صامد للنشر والتوزيع, تونس, 1986.

44- ياغي أحمد إسماعيل وشاكر محمود: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر, دار المريخ, الرياض, 1993.

45- يحي جلال: المغرب الكبير وحركات التحرر والاستقلال, القومية للطباعة, مصر, 1966.

ثالثا - المذكرات:

1- شايب قدارة: الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري, أطروحة دكتوراه دولة, تخصص تاريخ حديث ومعاصر, قسم التاريخ وعلم الآثار, جامعة قسنطينة, 2007.

2- شلاي عبد الوهاب: دور عمال المناجم الجزائريون في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-
1962, أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه, قسم التاريخ المعاصر, جامعة قسنطينة, الجزائر, 2013.

3- الشيخ مليكة: العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر, مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه, معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية, قسم التاريخ, جامعة غرداية, 2012.

4- مظلوم عبد الله عزيز: سياسة بسمارك الدبلوماسية والتنافس الألماني تجاه المستعمرات في إفريقيا, أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه, قسم العلوم السياسية, جامعة سان كليمنتس, بغداد, 2012.

رابعا - الدوريات العلمية :

- 1- بالرجب عبد الرزاق: حقيقة العلاقة بين الحزب الدستوري التونسي وجامعة عموم العملة التونسيين, جريدة تونس, [د-ع], نشر بتاريخ 09-06-2014.
- 2- بالطيب نور الدين: الطاهر الحداد في قبضة المتشددين, مجلة الأخبار, ع: 2514, 9 شباط, 2010.
- 3- البزاز سعد توفيق: العلاقات الخارجية للاتحاد العام التونسي للشغل 1946-1956, مجلة كلية التربية الأساسية, ع: 13, جامعة الموصل, 2013.
- 4- بن حسن شوقي: النقابة في تونس, مركز إفريقية للدراسات والبحوث السياسية, ع: 24536, 2014.
- 5- بن حميدة عبد السلام: النقابات والوعي القومي مثال تونس, مجلة المستقبل العربي, ع: 83, بيروت, 1986.
- 6- بوفلاقة محمد سيف الإسلام: عبد الحميد مهري سيرة وعطاء, مجلة المستقبل العربي, ع: 17, السنة التاسعة, بيروت, جوان 2012.
- 7- بوفلاقة محمد سيف الإسلام: فرحات حشاد في مرآة المفكر المجاهد عبد الحميد مهري, السلام اليوم, ع: 25904, 03-08-2013.
- 8- بوقريوة لمياء: اللاجئين الجزائريين في تونس, مجلة كان التاريخية, ع: 16, السنة الخامسة, 2012.
- 9- بوهلال سعيدة: الزعيم فرحات حشاد والتضامن العمالي الوطني والدولي, جريدة الصباح, [د-ع], نشر 07-12-2007.
- 10- التكريني غيلان سمير طه: الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939, مجلة آداب الفراهيدي, ع: 13, كانون الأول, 2012.
- 11- تملالي ياسين: دور الاتحاد العام التونسي للشغل في الانتفاضة التونسية, المناضل, ع: 41, 2011.
- 12- جريدي منذر: معلومات نادرة عن اغتيال فرحات حشاد, جريدة تونس, ع: 44, تونس, 2013.

- 13- حشاد نور الدين: فرحات حشاد وتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ع: 86، السنة 15، الجزائر، مارس 1985.
- 14- حشاد نور الدين: مؤسسة فرحات حشاد تشيد بخصال الزعيم الحبيب بورقيبة في الذكرى 15 لرحيله، جريدة تونس الرقمية، ع: 21، 2015.
- 15- الذهبي عبد الجبار: الندوة الوطنية حول المناضل النقابي والوطني المرحوم مختار العيادي، جريدة الشعب، [د-ع]، يوم 11-12-2010.
- 16- سريج محمد: البعد العربي والإفريقي للدبلوماسية المغربية تجاه الثورة الجزائرية من خلال جريدة الصباح، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، الشلف، ع: 14، جوان 2015.
- 17- سهيل كمال: دور الاتحاد العام التونسي للشغل خلال الفترة الانتقالية، جريدة الحرية، ع: 1278، تونس، 09-12-2012.
- 18- شكيب أرسلان: حول تاريخ الحركة النقابية بالمغرب، الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب 1943-1952، مجلة فصيلة، ع: 13، السنة الرابعة، 1986.
- 19- عباس صابر: أحبك يا شعب الاتحاد العام التونسي للشغل، جريدة مذكرات الحرية، ع: 3، 03-08-2012.
- 20- عبيد خالد: فرحات حشاد الشهيد الرمز: شهيد الشعب والقضية، مجلة حقائق، ع: 51، 2007.
- 21- عثمان فرحات: حفريات حول دور الحركة النقابية في النضال السياسي بتونس، مجلة نواة، [د-ع]، 23 جويلية 2013.
- 22- عويمر مولود: تونس من خلال جريدة الشورى، جريدة الصباح، ع: 669، 2013.
- 23- عياش ألبير: في ذكرى اغتيال فرحات حشاد وكفاح 7 و 8 ديسمبر 1952 بالدار البيضاء، الحوار المتمدن، ع: 2170، المغرب، 2008.

- 24- العيفة نصر: الندوة الوطنية حول المناضل النقابي والوطني مختار العبادي, جريدة الشعب, يوم 11-12-2010.
- 25- في ذكرى مؤتمر ليلة القدر (مجريات المؤتمر واللائحة المنبثقة عنه), جريدة الاستقلال, ع: 08, 04-05-1956.
- 26- القلعي مصطفى: الاتحاد العام التونسي للشغل ودوره في مستقبل تونس, مجلة العرب, ع: 9707, 14-10-2014, تونس.
- 27- القلعي مصطفى: العمل النقابي في تونس وعلاقته بالشعب وبالدولة, العرب, ع: 10051, 2015.
- 28- الكحلوي أحمد: العمل النقابي التونسي في سياق التحرر العربي الإسلامي, جريدة الفجر, ع: 25, السنة 7, 2010.
- 29- كرفاع المختار الطاهر: النضال السياسي للنقابات العمالية في المغرب العربي 1947-1961, جريدة ستار تيمز, ع: 377, 2015.
- 30- كروم حسين: العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية, مجلة قضايا عربية, ع: 2, السنة الخامسة, بيروت, 1978.
- 31- كريم مصطفى: انضمام الاتحاد العام التونسي للشغل إلى الكونفيدرالية النقابية العالمية, تع: التميمي, المجلة التاريخية المغربية, ع: 01, تونس, 1974.
- 32- كريم مصطفى: قضية الحقوق النقابية بتونس 1881-1832, المجلة التاريخية المغربية, ع: 3, تونس, 1975.
- 33- مسيرة للاتحاد العام التونسي للشغل في الذكرى الـ 2 لاغتيال مؤسسه, جريدة القدس, ع: 7608, السنة 25, 05-12-2013.
- 34- المعز الطاهر: الحركة النقابية في تونس بين إرادة الاستقلال ومحاولات الاحتواء, الحوار المتمدن, ع: 1753, بتاريخ: 03-12-2006.
- 35- المناعي عفيفة: الاتحاد العام التونسي للشغل والانتقال الديمقراطي, مبادرة الإصلاح العربي, الدورة الثانية, ع: 02, 2016.
- 36- منهل علي عجيل: الاتحاد العام التونسي للشغل - دوره في تاريخ تونس الحديث -, الحوار المتمدن, ع: 3250, تونس, 18-01-2011.

37- مهري عبد الحميد: فرحات حشاد المناضل، جريدة المنار، ع: 13، السنة 02، 12-12-1952.

خامسا - الموسوعات:

1- اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو): تاريخ إفريقيا العام - إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935، إتش: آدو بواهين، مج7، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1993.

2- محمد طالبي: دائرة المعارف التونسية، بيت الحكمة، تونس، 1994.

سادسا - المواقع الالكترونية:

1- أبو زكريا يحيى: الحركة الإسلامية في تونس من الثعالبى إلى الغنوشى، www.nashiri.net، [2003.

2- الأسود سفيان: سيرة متكاملة لحياة الشهيد الرمز شهيد الشعب والقضية فرحات حشاد، الشروق، نشر بتاريخ 24-12-2009، على الخط المباشر: <http://www.turess.com>.

3- ايفانوف: ولادة الحركة العمالية الوطنية التونسية 1924-1925، تر: حفاوي عمايرية، نشر في جريدة الشعب، 13-01-2007.

4- بالطيب محمد: الزعيم النقابى التونسي فرحات حشاد: وقد عرفنا القاتل فمن هو القاتل؟، تونس، نشر بتاريخ: 01-05-2014، متوفر على الخط المباشر: <http://afrigatenews.net>

5- البرهومي ماجد: الاتحاد العام التونسي للشغل الرقم الصعب في المعادلة التونسية، كلمة تونس، نشر بتاريخ: 07-10-2012، على الخط المباشر: <http://elaph.com>.

6- البعوط الحبيب: الاتحاد العام التونسي للشغل تاريخ بنير الدرب للأجيال، جريدة الشعب، نشر بتاريخ: 23-01-2010، على الخط المباشر: <http://www.echaab.info.tn>].

7- الحسيني أحمد: الوعي الطبقي والوطني للزعيم الخالد فرحات حشاد، الشعب، نشر بتاريخ: 03-12-2011، على الخط المباشر: <http://www.turess.com>].

- 8- حيدر إسماعيل: دفاعا عن محمد علي الحامي في ذكرى وفاته، جريدة الشعب، نشر بتاريخ 23-05-2009، على الخط المباشر: [<http://www.achaab.info.tn>].
- 9- خالد أحمد: ميلاد جامعة عموم عملة تونس، جريدة الشعب، نشر بتاريخ 02-12-2006، على الخط المباشر: [<http://www.achaab.info.tn>].
- 10- الذواوي الحبيب: في ذكرى اغتيال فرحات حشاد " شهيد الحرية "، الشعب، نشر بتاريخ: 13-12-2008، على الخط المباشر: [<http://www.echaab.info.tn>].
- 11- العبدلي سجا: فرحات حشاد زعيم العمل النقابي في تونس، جريدة المجلة، نشر بتاريخ: 01-04-2014، على الخط المباشر [<http://art.majalla.com>].
- 12- عويساوي المنصف: فرحات حشاد ... الرمز ... النضال والعطاء، الصحافة، نشر بتاريخ 18-02-2016، على الخط المباشر: [<http://www.esshafa.info.tn>].
- 13- القصبي غسان: الذكرى 57 لاغتيال الزعيم فرحات حشاد، جريدة الشعب، نشر بتاريخ 05-12-2009، على الخط المباشر: [<http://www.echaab.info.tn>].
- 14- الكحلوي أحمد: المضامين العروبية الإسلامية في الحركة النقابية التونسية المستقلة ونضال الشيخ الفاضل بن عاشور، الشعب، 21-12-2013، على الخط المباشر: [<http://www.echaab.info.tn>].
- 15- الكراي بن عبد الله فاطمة: أحمد بن صالح في مذكرات سياسي، جريدة الشروق، نشر بتاريخ 02-04-2010، على الخط المباشر: [<http://gajeune.ahlamontada.com>].
- 16- اللواتي فاطمة: فرحات حشاد: نضال وطني وكفاح نقابي، جريدة تونس، نشر بتاريخ 05-12-2012، على الخط المباشر: [<http://www.turess.com>].
- 17- المشرقي رضا: في ذكرى استشهاده الـ 63 لم ينسى الشعب التونسي فرحات حشاد: الحوار نت، نشر بتاريخ: 09-12-2015، على الخط المباشر <http://www.alhiwar.net>.
- 18- المصباحي حسونة: أصحاب الأرواح الكبيرة أحبوا الشعب فأحبهم، العرب، نشر بتاريخ 17-11-2013، على الخط المباشر: [<http://www.alarab.co.uk/>].
- 19- المناعي محمد: الحركة النقابية وتأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل، شبكة الشباب النقابي العربي، نشر بتاريخ: 27-11-2015، على الخط المباشر: [[http://manai.over-](http://manai.over-blog.com) [blog.com](http://manai.over-blog.com)].

20- المناعي محمد: من تاريخ اليسار التونسي: الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي شاهد على عراقة العمل النقابي والنضال اليساري بالبلاد التونسية، مركز التجديد العربي للدراسات والأبحاث ، نشر بتاريخ: 2012-07-12، على الخط [<http://www.tunipresse.com>].
سابعاً - المراجع باللغة الأجنبية :

- 1- **C. I. S. I. – troisième mondial solution sur contre l'oppression coloniale et la Tunisie** , 11 juillet 1953 , Institution Farhat Hached .
- 2- Farhat Hached : **Tunisian Workers Resist Colonial Repression** , international free trade union news , N : 06 , 1952 , p 02 .

فهرس الموضوعات

شكر وعرهان

مقدمة	ص أ - ح
الفصل الأول: العمل النقابي في تونس (1924-1938)	ص 10- 38
المبحث الأول: عوامل ظهور العمل النقابي في تونس	ص 12
المطلب الأول: الاستعمار الفرنسي لتونس	ص 13
المطلب الثاني: سياسة فرنسا في تونس	ص 17
1- السياسة الإدارية	ص 17
2- سياسة التجنيس	ص 18
المطلب الثالث: الصراعات الأيديولوجية داخل الأحزاب السياسية التونسية	ص 20
المطلب الرابع: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في تونس	ص 23
المبحث الثاني: جامعة عموم عملة تونس الأولى والثانية (1924-1938)	ص 27
المطلب الأول: تأسيس جامعة عموم عملة تونس الأولى 1924	ص 27
المطلب الثاني: موقف السلطات الفرنسية من جامعة عموم عملة تونس الأولى	ص 32
المطلب الثالث: إعادة بعث جامعة عموم العملة التونسيين الثانية 1937	ص 35
المطلب الرابع: حل جامعة عموم العملة التونسيين الثانية	ص 37
الفصل الثاني: فرحات حشاد والاتحاد العام التونسي للشغل (1946-1952)	ص 41- 71
المبحث الأول: فرحات حشاد حياته وآثاره	ص 41

المطلب الأول: نشأته وتكوينه	ص 42
المطلب الثاني: نشاطه النقابي	ص 45
المطلب الثالث: آراء حول فرحات حشاد	ص 51
المبحث الثاني: سياسة فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل (1946-1952)	ص 56
المطلب الأول: تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل	ص 56
المطلب الثاني: الهيكل التنظيمي للاتحاد العام التونسي للشغل	ص 61
1- المؤتمر الوطني للاتحاد	ص 61
2- المجلس القومي للاتحاد	ص 60
3- المكتب التنفيذي للاتحاد	ص 62
4- الإتحادات الجهوية والجامعات القومية	ص 62
أ- العضوية	ص 62
ب- النقابات	ص 63
ج- الجامعات	ص 64
د- الإتحادات الجهوية	ص 65
هـ- الهيئة الإدارية	ص 65
المطلب الثالث : مبادئ وأهداف الاتحاد العام التونسي للشغل	ص 65
1- مبادئ الاتحاد العام التونسي للشغل	ص 66
2- أهداف الاتحاد العام التونسي للشغل	ص 68

الفصل الثالث: انعكاسات سياسة فرحات حشاد في العمل النقابي في تونس (1946-1956)	ص 73-111
المبحث الأول: دور فرحات حشاد في العمل النقابي في تونس	ص 74
المطلب الأول: الدور الاجتماعي والاقتصادي	ص 74
المطلب الثاني: الدور السياسي الوطني	ص 80
المبحث الثاني: نشاط الاتحاد العام التونسي للشغل في الخارج	ص 86
المطلب الأول: نشاط الاتحاد في المغرب العربي (1946-1956)	ص 87
المطلب الثاني: نشاط الاتحاد في المشرق العربي (1946-1956)	ص 92
المطلب الثالث: نشاط الاتحاد العالمي (1946 - 1956)	ص 96
المبحث الثالث: مواقف من سياسة فرحات حشاد في الاتحاد العام التونسي للشغل	ص 99
المطلب الأول: موقف الأحزاب السياسية	ص 100
المطلب الثاني: موقف العمال والشعب التونسي	ص 105
المطلب الثالث: موقف السلطات الفرنسية	ص 108
خاتمة	ص 113
ملاحق	ص 117
قائمة المصادر والمراجع	ص 121
فهرس المواضيع	ص 133